بحوث في نهج البلاغة

٥

علي سليمان يحفوفي

جهاد الإنسان

منشورات
الدار العالمية
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الثانية
١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م

مكتبة نرجس PDF
www.narjes-library.blogspot.com

الإهـــداء

الى الـرجـل الموقـن
الى أبـي
اهدي هـذه البحوث

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

كان زمان لم يكن فيه سوى الله سبحانه الأزلي الأبدي المطلق . ثم ابتدأ تعالى عملية ابتداع الخلائق فتدرج بخلق السماء والملائكة والأرض واخيراً الإنسان .

ولن نستطرد في هذا الكتاب بعرض تفاصيل عملية الخلق وكيف تمت ومتى ومن أي شيء ، وإن كان الإمام علي عليه السلام قد تناول كل ذلك في نهجه ، بل سيقتصر بحثنا على الإنسان . كما أن البحث حول الإنسان ليس عن أصل خلقه وزمانه وكيفيته ، بل سيقتصر على الهدف من خلقه وعن طبيعة وجوده على هذه الأرض . فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وجعل له هدفاً من وجود هذا الهدف يمتد إلى ما وراء هذه الحياة الدنيا ، فدور الإنسان لا ينتهي بالغاء وجوده على الأرض وبإنتهاء مدة حياته عليها ، والموت لا يشكل خاتمة الوجود بالنسبة له ، بل أنه بداية لحياة جديدة كانت هي الهدف الرئيسي من خلقه ، وما حياته التي امضاها على الأرض إلّا فترة اختبار له ليتقرر على ضوئها منهج حياته الأخرى ، اما شقاء وعذاب دائم ، واما رفاه ونعيم مستمر ، فالإنسان خلق للآخرة وليس للدنيا ، والسعادة في الآخرة لا ينالها إلّا من طابت نفسه

وصفت سريرته وحاز مرضاة خالقه ، وذلك بأن يكون قد أحرز تكامل نفسه في حياته الأولى .

يقول الإمام موضحاً هذا الأمر :

ـ فإن الدنيا لم تخلق لكم دار مقام ، بل خلقت لكم مجازاً لتزوّدوا منها الأعمال إلى دار القرار .[1]

من هنا كان التكامل هو هدف الإنسان الذي يجب أن يسعى إليه في حياته الدنيوية ، فكل خطوة يخطوها لها أثرها البالغ على مسيرته نحو التكامل ، وكل عمل يقوم به تنعكس آثاره سلباً أو إيجاباً حسب نوعيته فإما أن يقربه من تحقيق هدفه أو يباعده عنه ويجعل الوصول إليه مستحيلاً .

وهدف هذا الكتاب هو بيان السبيل لتحقيق التكامل المنشود الذي هو الغاية والهدف ، وسيتضح من خلال البحث أن ذلك لا يتم إلاّ بالجهاد الدائم والكفاح المستمر ، وهو على أشكال متعددة قد أفردنا لكل شكل منها فصلاً مستقلاً فكان الكتاب على أربعة فصول مرتبة كالآتي :

الفصل الأول : ونتحدث فيه عن جهاد الإنسان نحو الله سبحانه ، وذلك أن تكامله لا يتم إلا بجعله تعالى هدفاً ومثلاً أعلى لا بدّ من السعي نحوه .

---

(١) نهج البلاغة ج ١ ـ ص ٢٥٠

الفصل الثاني : ويختص بالكلام عن جهاد الإنسان مع نفسه ، والذي تكون العبادة أظهر افراده إذ ما هي إلاّ تعبير عملي عن جهاد الإنسان نحو الله سبحانه ونثبت في هذا الفصل أن العبادة ضرورية من أجل تركيز وتنسيق سعي الإنسان نحو خالقه .

الفصل الثالث : ونتناول فيه جهاد الإنسان مع الآخرين ، وهذا الجهاد يتخذ أشكال وكيفيات متعددة نفصلها في محلها .

الفصل الرابع : ونتكلم فيه عن جهاد الإنسان مع الطبيعة في محاولة تطويعها وتسخيرها لمصالحه وأغراضه .

ومن خلال البحث سيتضح معنا أن أشكال الجهاد المتقدمة ليست مستقلة ومنفصلة عن بعضها البعض بل إنها تتبادل التأثير فيما بينها . وسنستعرض بعض مواطن التأثيرات المتبادلة في نهاية الكتاب إنشاء الله تعالى .

علي سليمان يحفوفي
بيروت ٥ ـ ٩ ـ ١٩٨٢

الفصل الأول

جهاد الإنسان نحو الله

تكامل الإنسان هو المطلب وهو الهدف ، به جاءت الأديان ومن أجله بعثت الرسل ، والسؤال هو : لماذا يراد التكامل وكيف يمكن تحقيقه ؟

الإنسان والمطلق :

يولد الإنسان وهو خالي الذهن لا يملك أية فكرة عن أي شيء مما يحيط به من مخلوقات وموجودات ، فضلاً عن أن يدرك حقيقة موقعه منها وما سيكون عليه مستقبله وإلى ما سيؤول إليه أمره . ثم تبدأ مداركه تتفتح وآفاقه تتسع فيشعر بالموجودات من حوله فينسبها إلى بعضها ويحاول أن يقيسها على بعضها البعض ويفاضل فيما بينها ، هذا اكبر من ذاك ، وذاك أجمل من هذا وهكذا ، ثم تبدأ عنده مرحلة تقليدها ومجاراتها ، إذ سرعان ما يدرك أن كثيراً من تلك الموجودات تتصف بمميزات يفتقدها هو نفسه فيحاول جاهداً محاكاتها ، فيكون بذلك قد جعلها مثلاً أعلى ، فهو يشعر بأن وجوده ناقص إذا لم يكن يفعل ذلك ، وإذا ما استطاع مجاراتها فسوف يتكامل .

ولكن مع نمو فكره واتساع آفاقه يبدأ بإدراك خطأه في اتخاذه تلك الموجودات هدفاً ونصبها مثلاً أعلى له ، إذ يرى في نفسه القدرة على مجاراتها والتفوق عليها والمميزات التي تمتلكها والتي كانت تثير في نفسه الإعجاب نحوها لم تعد كذلك واصبحت تفتقر إلى عامل السحر الذي كان يجذبه نحوها ، إذ أنه هو نفسه يمتلك ميزاتها وعنده القدرة على التحكم فيها والسيطرة عليها .

ولكن مع ذلك يبقى الانسان شاعراً بنقصانه ، وبأن وجوده لم يكتمل بعد ، فيبدأ عملية البحث في الموجودات الأخرى عن الكمال الذي يفتقر إليه ، والذي لم يستطع مثله الأعلى السابق تزويده به ، فيكون بذلك قد ارتقى درجة في سلّم التكامل دون أن يبلغ الغاية فيه ، وهذا ما يضطره مجدداً ليبدأ رحلة جديدة في البحث عن المثل الأعلى الذي سوف يحقق له آماله ويكون على مستوى طموحاته . وهكذا تستمر رحلته ويدوم بحثه إلى أن يتوصّل إلى اكتشاف ما كان يبحث عنه ، حيث يجده متمثلاً بالله سبحانه ، المثل المطلق الوحيد الذي لا حدّ له ولا نهاية ، وهنا تبدأ مسيره التكامل الحقيقية التي لا ينهيها الإنسان مهما تهيّأ له أن يحيا .

ويتبيّن من ذلك أن الإنسان بفطرته يشعر بأن عليه أن يتكامل ، وأنه لن يتمكن من ذلك دون اتخاذه لنفسه مثلاً أعلى يجعله هدفاً دائماً له . ومن هنا يتبيّن معنا الهدف الرئيسي من ارادة التكامل ، فإنه أمر فطري لدى الإنسان ، وطلبه له وسعيه نحوه ما هو إلّا محاولة منه لتلبية هذا النداء الذي يصدر من داخله ، ومن الواضح أن كل ما هو فطري لا يسأل له عن سبب ولا يُبحث له عن

تبرير ، إذ كفى بالفطرة سبباً ومبرراً .

وعلى أية حال فإن السعادة ـ التي هي مراد كل البشر ـ لا تتحقق إلاّ عن طريق التكامل ، إذ أنه وحده الذي يصحّح للإنسان خطاه ويدفعه لمتابعة مسيرته نحو كل ما فيه خير مجتمعه وعالمه ، وكيفية ذلك تتضح في الفقرة التالية .

كيف يصدر القرار الإنساني ؟

إن أي عمل يصدر عن الإنسان أو أي تغيير يقوم به لا بدّ من مروره أولاً بأربع مراحل :

أولاً ـ مرحلة التصور : وفيها يتم انطباع صورة الشيء أو الأمر الذي يواجهه الإنسان في الذهن ، وهذه المرحلة لا تحتاج إلى بذل أي جهد عقلي أو تدخل أي عنصر آخر ، بل يكفي في حصولها الإحساس بالشيء بأي من الحواس الخمس دون أن يستتبع ذلك حكم أو اتخاذ موقف .

ثانياً ـ مرحلة الفكر : وفيها يبدأ الانسان في تسخير عقله وتوظيفه من أجل التوصل إلى تحديد ماهية الأمر الذي يواجهه ، وفي الواقع يقوم العقل بثلاث حركات متدرجة لانجاز هذه المرحلة :

١ ـ يتحرك العقل من ذلك الأمر الذي تصوره إلى المعلومات المختزنة لديه .

٢ ـ يقوم العقل بمهمة البحث بين تلك المعلومات ليقرر على ضوئها ما يناسب الأمر الذي يواجهه .

٣ ـ واخيراً ، يقوم العقل بمطابقة المعلومات التي استطاع الحصول عليها من مختزناته على الأمر المطلوب اتخاذ موقف اتجاهه .

وفي نهاية هذه الحركات الثلاث وكنتيجة لها يكتفي العقل بأن يقول : إن حقيقة هذا الامر كذا ، أو أن هذا الشيء أجمل من ذاك ، أو ما شابه ذلك من الأحكام التي تدخل في نطاق المعرفة المحضة . وقد يصدر العقل على ضوء ذلك حكمه بوجود مصلحة أو مفسدة في الأمر المواجه .

ثم إن حركات العقل الثلاث السابقة هي ما يُطلق عليه انه (الفكر) ، وهي التي تميّز إنسانا عن آخر ، فنقول عن هذا بأنه يتمتع بقوة فكر والآخر عكسه . فإن أي عاقل لا بدّ له عند مواجهة اصغر مشكل من أن يستخدم عقله ضمن الحركات الثلاث كاملة ، ولكن ما يميّز إنسانا عن آخر هو أن البعض يستطيع الانتقال والتحرك بسرعة من المشكل الذي يواجهه الى المعلومات المختزنة عنده ، ثم يقوم باستعراضها بسرعة فائقة ليستخلص منها الجواب على الفور ، وبذلك نقول أنه حاد الذهن ، بينما البعض الآخر بطيء جِدّاً في التنقل بين هذه الحركات فيحتاج إلى وقت مضاعف عن سابقه فنصفه حينئذٍ ببلادة الذهن .

وقد تكون المعلومات المختزنة كافية لمواجهة المشكل عند البعض فنصفه بالذكاء والعلم ، بينما تكون غير كافية لدى البعض الآخر فيحق عليه بذلك وصف الغباء والجهل .

ثالثا ـ مرحلة العاطفة : وهي تمثل الدافع للانسان لاتخاذ موقف ،

فهو لايكتفي هنا باصدارحكم كالسابق يدخل في اطار الاستدلال والمعرفة ، بل ان العاطفة تدفعه لاتخاذ موقف محدد تجاه معرفته السابقة ، فيقرر : انه مع هذا الامر ويؤيده او انه ضده ويعارضه ، ولا يكتفي بالقول انه افضل من ذاك او اسوأ منه . فان الارادة ـ والتي هي المرحلة الرابعة ـ لاتتحقق من دون الدافع الذي تشكله العاطفة ، ويتضح من هذا انها تقوم بدور الوسيط بين الفكر والارادة ، اذ الفكر وحده لايصلح دافعاً للتحرك ولابد من استمداد الطاقة المحركة من العاطفة .

ثم ان العاطفة لاتعارض الفكر او تقف معه على طرفي نقيض ـ كما يتوهّم ـ بل انها تستمد زخمها منه ، اذ انها لاتتعلق بالشيء الاّ بعد حكم العقل ـ نتيجة المرحلة الثانية ـ بصلاحه او فساده ، ومضرته او منفعته .

رابعا ـ مرحلة الارادة : وارادة الانسان للفعل او الترك تنتج عن العاطفة المستندة الى حكم العقل ، اذ ان العاطفة وحدها القادرة على دفع الانسان وتحريكه لبذل الجهد وتحمل المشاق في سبيل الفعل او الترك ، فان اقدم على فعل الشيء وارتكابه نقول انه اراد الفعل ، وان تركه وعزفت نفسه عنه نقول انه اراد الترك ، فالفعل والترك كلاهما تابع لارادته .

وبعد هذه المراحل الاربع ياتي دور التنجيز خارجا ، هذا التنجيز الذي ما كان ليتحقق لولا ما قرره الانسان في داخله ـ اي لولا تلك المراحل الاربع كاملة فان داخل الانسان هو الذي يقوم

بها ـ وحينئذ يصبح واضحاً ما نقصده فيما لو قلنا :ان خارج الانسان يتقرر من داخله ، فان الداخل هو تلك المراحل الاربع ، والخارج هو الفعل الخارجي المعتمد كلياً عليها .

وبذلك نصل الى الهدف الذي قصدناه من هذه الفقرة ، فان داخل الانسان اذا كان تاماً ومتكاملا ، فان الواقع الخارجي يكون كذلك ايضا ، بينما اذا كان الداخل خبيثا وناقصاً فانه سوف ينعكس بوضوح على واقعه الخارجي .وبذلك تظهر الثمرة العملية لتكامل الانسان ، فانه عندما يتكامل يكون في طريقه الى واقع متكامل ومجتمع سعيد وهو ما تنشده الانسانية على هذه الارض ، فبدون فكر متطور ، وعاطفة صادقة وارادة قوية لايمكن باي شكل تحقيق المجتمع الحضاري المنشود .

ولكن يبقى السؤال : كيف يتم للانسان بناء داخله ليكون صالحاً للتكامل ؟

والجواب : لابد له في سبيل ذلك من اتخاذ مثل اعلى كامل .

الانسان والمثل الاعلى :

قدمنا في بداية هذا الفصل ان الانسان يولد وهو خالي الذهن عن اي شكل من اشكال المعرفة ، ثم تبدأ حواسه عملية تزويده بمعلوماته البدائية ، فيشعر اولاً بالموجودات من حوله فيراها متصفة بكمال يفتقده فيحاول ـ بفطرته التي فطره الله عليها ـ محاكاة تلك الموجودات مما يجعلها مثلا اعلى له ، ومن هنا تبدأ مسيرته الحضارية ويبدأ بارتقاء سلم تكامله .

والسؤال هنا : ان المثل العليا التي
للانسان يأخذها مثلا كثيرة جدا
مثلا على بل ان بعضها

ـ تتلقاه الاذهان لا بمشاعرة[1] وتشهد له المرائي[2] لا بمحاضرة[3] .

فمعرفته تعالى فطرية ، واذا ما عرف الانسان الله سبحانه معرفة صادقة واعية فانه لن يقبل بسواه مثلاً وهدفاً ، لانه يرى فيه كل ما ينشده من القدرة والعلم والقوة . وتصبح المثل الاخرى مجرد اقزام امام هذا المثل المطلق .

وهنا ينشأ سؤال : ان الامر لو كان على هذه الصورة وكانت معرفة المثل الأعلى الحق فطرية ؛ فما هو المبرر اذن للاختلاف حوله ولماذا التعدد فيه ؟ اذ نشاهد بالضرورة اختلاف الناس في مثلهم واتخاذ كل منهم مثلاً لايرضى به بدلاً . بينما الامر الفطري لايختلف من انسان لآخر بل هو عند الجميع سواء ، كما لايعقل افتراض كون البعض مفطورين على امر مع حرمان البعض الآخر منه . اذن كيف يفسَّر الاختلاف في المثل الاعلى مع كونه مدلولاً عليه بالفطرة ؟

والجواب : ان الفطرة وان كانت موجودة عند الجميع حين خلقهم ،ولكنها قد تتشوّه لدى البعض نتيجة الانحراف والضلال ، وما هدف بعث الانبياء والرسل بالاديان والرسالات الاّ اعادة الصورة النقية للفطرة كما وجدت اول مرة وكما فطرها عليها خالقها ،

---

(١) المشاعرة : انفعال الحواس بالمحسوسات .
(٢) المرائي : النواظر .
(٣) نهج البلاغة ج ١ ـ ص ٣٥٠

لتكون بالتالي كل خطى الانسان نحو الله وحده . كما يريد الامام بقوله :

- اللهم اليك افضت[1] القلوب ، ومدَّت الاعناق ، وشخصت الابصار ونقلت الاقدام وانضيت[2] الابدان[3] .

التكامل بالجهاد نحو الله :

كيف يحقق الجهاد نحو الله سبحانه تكامل الانسان ؟

لا شكَّ ان توحُّد المجتمعات البشرية ادعى لتكاملها مما لو كانت متنافرة ومتفرقة ، وجعل الله سبحانه مثلاً اعلى وهدفا اسمى يوحِّد الجامعة البشرية ويجعل منها مجتمعاً سعيداً يسود افراده الودُّ والوآم بدل التحزب والعداء .

ولتقرير ذلك لابدَّ من البحث في نقطتين :

الاولى : كيف يكون اتخاذ الله سبحانه مثلاً اعلى مدعاة لتوحيد البشرية وصهرها في مجتمع واحد ؟

والثانية : كيف يكون توحيد البشرية مدعاة لتكاملها ؟

اما بالنسبة للنقطة الاولى : فان معنى اتخاذ مثل اعلى - مهما

---

(١) افضت : انتهت ووصلت .
(٢) انضيت : ابليت .
(٣) نهج البلاغة ج ٢ - ص ١٥

كانت حقيقته ـ هو ان يحاول الانسان تقليده ومحاكاته والسعي اليه بكل جوارحه ، وتصحيح كل ما فيه من صفات قد تبدو معيبة وتصويب كل ما يصدر عنه من افعال قد تبدو منحرفة ، حتى ولو كان الانسان غير معتقد اساساً وغير مقتنع بهذه الصفات والافعال فانه يخطِّيء نفسه ويصوِّب مثله ويجاريه في كل ما يصدر عنه حتى تكون جميع حركاته وسكناته مستوحاة من هذا المثل وعلى الطريق الذي يرسمه .

ومما لا ريب فيه ان المثل الواحد يكون جميع ما يستوحى منه موحداً والا لكان متناقضا في ذاته . وحين يكون موحداً يتوحد اتجاه البشرية من حيث تفكيرها وعواطفها ورغباتها ، ويصبح الاختلاف فيما بين البشر نادراً .

وقد يشكل هنا : لماذا يجب ان نفترض المثل الاعلى هو الله سبحانه ، افلا يصح جعل مثل اعلى سواه لنحصل على النتيجة المبتغاة ؟

ونجيب عن ذلك : ان المثل الاعلى يوحد البشرية في محيط ما يشتمل عليه من قيم وما يحويه من تعاليم فقط ولا يزيد عن ذلك ، وكل ما سوى الله سبحانه فهو محدود تنقصه الشمولية والله وحده هو المطلق الوحيد الذي يمكن تصوره ، فهو الخير المطلق والعدل المطلق والغنى المطلق والقوة المطلقة ، والى آخر صفاته تعالى ، وكما يصفه الامام :

ـ غنى كل فقير وعز كل ذليل وقوة كل ضعيف

ومفزع كل ملهوف[1] .

فهو سبحانه الغني المطلق اليه يلتجأ كل فقير . وهو العزة المطلقة اليه ينتجأ كل ذليل وهو القوة المطلقة عليها يعتمد كل ضعيف . وهو الملجأ الآمن لكل من التجأ اليه .

وليس هناك سواه سبحانه يتصف بالشمولية لكل هذه الصفات وغيرها . ولذا لايصح اتخاذ سواه مثلا لانه يكون ناقصاً اذ يفتقر الى الشمولية . ولكي يتكامل الانسان يجب ان تسمو نفسه في جميع مجالات الخير والفضيلة والاّ لما ادى المثل الاعلى دوره ، فالفرنسيون مثلاً عندما اتخذوا الحرية مثلاً اعلى لهم نسوا العدل فادى بهم ذلك الى الاجحاف والاعتداء على حريات الآخرين وممتلكاتهم . والعصر الحديث الذي اتخذ العلم مثلاً اعلى له نسي الاخلاق فكان علمه وسيلة الى تحطيم كيان الانسان وسبباً في شقائه .

وقد يُقترح هنا اتخاذ اكثر من مثل واحد كل منها في مجاله وما يتصف به بحيث تكون بمجموعها كافية للارتفاع بالانسان والاخذ بيده الى اعلى درجات الكمال في شتى المجالات .

وهو اقتراح غير مقبول اذ ليست الشمولية فقط هي المطلوبة في المثل الاعلى ، بل المراد فيه ان يكون مطلقاً ايضاً ، بحيث لايستطيع الانسان الوصول اليه ومحاكاته والحلول في منزلته مهما حاول واجتهد ، والاّ لاصبح هذا الانسان خالياً عن اي مثل اعلى ليسعى نحوه ، بل

---

(١) نهج البلاغة ج ١ ـ ص ٢٠٩ ـ ٢١٠

لاصبح نفسه مثلا على بالنسبة لغيره من بني الانسان ، وليس هناك سوى الله سبحانه الذي يتصف بالاطلاق ، وكلما خطا الانسان نحوه ، فانه يحسب له خطوة على الطريق اللانهائي ، فيصبح جواداً وقادراً وخيِّراً ولكنه ابداً لن يبلغ مرتبة المطلق ، فهو جواد لكن جود الله مطلق اي انه الجود نفسه لاشيء يتصف به . وكذلك الحال في بقية الصفات فالله هو الخير وهو القدرة وهو الغنى ، لان هذه الصفات خارجة عن ذاته وهو يتصف بها كسائر البشر والكائنات ، ولذلك لايمكن بلوغ مرتبة المطلق لاي كان والاّ لاصبح مطلقاً بنفسه اي إله . ولنستعرض فيما يلي بعض نصوص الامام التي توضح كيفية اتصاف الله سبحانه بالصفات التي ننسبها اليه ، يقول عليه السلام :

ـ الاحد لابتاويل عدد والخالق لابمعنى حركة ونصب[1]، والسميع لاباداة، والبصير لابتفريق آلة[2]، والشاهد لابمماسة ، والبائن لابتراخي مسافة ، والظاهر لابرؤ ية والباطن لابلطافة[3].

ـ قريب من الاشياء غير ملامس ، بعيد منها غير مباين . متكلم لابروية ، مريد لابهمة ، صانع لابجارحة ، لطيف لايوصف بالخفاء ، كبير لايوصف بالجفاء[4]، بصير لا يوصف بالحاسة ،

---

(١) النصب : اي التعب
(٢) تفريق آلة : اي فتح الاجفان واغلاقها .
(٣) نهج البلاغة ج ١ ـ ص ٢٧٥
(٤) الجفاء : الخشونة .

رحيم لايوصف بالرقة[1] .

- واحد لابعدد ، ودائم لابأمد[2] ، وقائم لابعمد . . ليس بذي كِبَر امتدت به النهايات فكبرته تجسيماً ، ولابذي عِظَم تناهت به الغايات فعظَّمته تجسيداً ، بل كَبُر شأناً وعَظُم سلطاناً[3].

- فاعل لا باضطراب آلة ، مقدر لا بِجَوْل فكرة ، غني لاباستفادة .[4]

- يخبر لابلسان ولهوات[5] ، ويسمع لابخروق وادوات ، يقول ولا يلفظ ويحفظ ولا يتحفظ[6]، ويريد ولا يضمر . يحب ويرضى من غير رقة ، ويبغض ويغضب من غير مشقة . يقول لمن اراد كونه كن فيكون . لابصوت يَقْرَع ، ولا بنداء يُسمع[7].

- العالم بلا اكتساب ولا ازدياد ولا علم مستفاد . المقدِّر لجميع الامور بلا روية ولا

---

(١) نهج البلاغة ج ١ - ص ٣٣٤ - ٣٣٥
(٢) الامد : الغاية والمدة .
(٣) نهج البلاغة ج ١ - ص ٣٥٠
(٤) نهج البلاغة ج ١ - ص ٣٥٤
(٥) اللهاة : اللحمة التي في سقف الفم .
(٦) يتحفظ : اي يتكلف الحفظ .
(٧) نهج البلاغة ج ١ - ص ٣٥٧

ضمير . . . ليس ادراكه بالابصار ولا علمه بالاخبار[1].

فتبين اذن انّا عندما نصف الله سبحانه بأي من الصفات المتقدمة او غيرها فان ذلك لا يكون على نفس النحو الذي نصف به سائر المخلوقات ، فالله عالم والانسان عالم ، ولكن علم الله مطلق يشمل ما ظهر وما بطن من دون حاجة الى التفكّر والاكتساب بينما علم الانسان محدود بالظاهر فقط ويحتاج اكتسابه الى عناء وجهد ، وهكذا الامر مع سائر الصفات ، ومهما ارتقى الانسان في علمه فانه لن يستطيع الاحاطة بكل شيء كما هو الله سبحانه ، كما ان علمه يكون نتيجة الكد والجهد وهو سبحانه في غنى عنه . اذن فالانسان لا يستطيع ابداً بلوغ درجة المطلق مهما ارتقى درجات الكمال .

هذا من جهة . فلايصح اتخاذ مثل عليا متعددة بدل الله سبحانه لانه ينقصها الاطلاق .

ومن جهة اخرى فان هذه المثل المفترضة ينقصها الدَّال والحافز . ونعني بذلك ان الله وحده عنده ما يدل عليه ويوجب اتخاذه مثلا . والدال عليه هو الفطرة التي سبق وتحدثنا عنها ، والحافز اليه هو الثواب والعقاب اللذان افترضهما سبحانه للساعين نحوه والمدبرين بوجوههم عنه ، وذلك ما لم تخلُ عنه جميع رسالات الانبياء والمرسلين .

---

(١) نهج البلاغة ج ١ - ص ٤٢٩

الى هنا كان حديثنا عن النقطة الاولى ، وهي كيف يكون اتخاذ الله سبحانه مثلاً اعلى مدعاة لتوحيد البشرية ؟

واما النقطة الثانية ، فهي في كيفية الربط بين توحيد البشرية وبين تَكاملها ؟

أن تتوحدَّ البشرية يعني ان تتوحد اهدافها واماالها وغاياتها ، يعني ان يعمل كلٌّ في مجال اختصاصه ولكن مع مراعاة مصلحة الجماعة البشرية ككل ، اذ يشعر كل فرد بان وجوده ليس مستقلاً عن الآخرين بل هو مندمج معهم ومصيره مرتبط بمصيرهم ولهذا فسوف يستعمل كل فرد قدراته وطاقاته في نفس الاتجاه الذي يوظف فيه الآخرون قدراتهم وطاقاتهم ، ويكون مبدعاً وخلاّقا لمصلحة الآخرين لان مصلحته من مصالحهم لا انه يقابل ابداعاتهم ويوظف طاقاته في مواجهتها ، وحينئذ يفتح المجال على وسعه امام الفكر الانساني ليعطي اقصى طاقاته في سبيل البشرية وسعادتها ، واذا ما اطمأنت النفوس وارتاحت الضمائر وتخلص الفكر من جميع القيود ، فان جميع الموانع تكون قد ازيلت والتي كانت تقف حائلا بين الانسان وبين تكامله .

الفصل الثاني

جهاد الانسان مع نفسه

اهمية العبادة للانسان

العبادة حاجة انسانية ثابتة ، فالانسان منذ بداية وعيه يشعر بوجود قوة مسيطرة على كيانه كانت السبب في خلقه ومدِّه بالحياة ، ويشعر في قرارة نفسه ان هذه القوة دائمة التأثير عليه ومستمرة معه باستمرار حياته ، فيرى حينئذ وجوب اتخاذه موقفاً منها ليكسب رضاها وبركاتها وينجو من غضبها ونقمتها ، ومن هنا نشأت العبادة ، فالعبادة حاجة للانسان يشعر من خلالها بالارتباط المباشر مع قوة هي فوقه ومؤثرة على وجوده وكيانه .

ودعوات الانبياء جميعاً ما هي الّا لاجل ارشاد الانسان الى القوة الحقّة التي لها التأثير الفعلي عليه والتي لا يصح ان يكون اتصال الانسان بغيرها ، وتلك القوة هي ما نسميه « الله » .

فالاديان السماوية باجمعها اخذت على عاتقها مهمة ارشاد الانسان الى خالقة مبينة كيفية عبادته وموضحة الطريق الموصلة اليه ، وهذا لايمنع اختلاف الاديان في بعض التعاليم والقوانين التي جاءت بها وان كان المقصود منها واحداً ، فان وحدة الهدف لاتمنع من تعدد الوسيلة .

والاسلام من جملة تلك الاديان التي دلّت الانسان على خالقه وارشدته الى اسلوب عبادته ، ولكنه يفترق عنها في بلوغه مرتبة الكمال من هذه الناحية دونها ، حتى انه جعل العبادة عنواناً عاماً لكل عمل صادر من الانسان اذا ما توجّه به الانسان الى الله سبحانه قاصداً وجهه دون سواه ، فكان الاحسان الى اليتيم عبادة ، والصدقة عبادة ومساعدة الضعيف عبادة ، وهكذا كل عمل يُقصد به القربة المطلقة لله سبحانه ، وليست العبادة منحصرة في هذه الفرائض التي حصرها الفقهاء في عشر من الصلاة والصيام وغيرها ، ولذلك نرى الامام يقول :

ـ ولا عبادة كأداء الفرائض[1] .

ـ اذا اضرت النوافل بالفرائض فارفضوها[2]

فالواضح من العبارتين ان العبادة تشمل هذه الفرائض العشر وغيرها ، نعم الفرائض مقدمة ومفضلة على ما سواها ، اذ انها واجبة ولا بد من الاتيان بها على وجهها ، واما ما عداها فهو من النوافل بالنسبة اليها ، فاذا ما ادّى الانسان الفرائض المتوجبة عليه فقد قام بواجبه تجاه خالقه وتعبده كما هو اهل له ، ولكن يبقى المجال امامه مفتوحاً للتقرب اليه اكثر بما شاء من عبادته .

والعبادة ـ كما اوضحنا ـ لايصح تسميتها كذلك الاّ اذا قُصد بها التوجه الى الله سبحانه ولذلك كانت جهاداً نحو الله ، بل انها

---

(١) نهج البلاغة ج ٢ ـ ص ١٦٣

(٢) نهج البلاغة ج ٢ ـ ص ٢٠٤

الترجمة العملية لجهاد الانسان نحو الله ، فالانسان يجاهد نفسه متوجهاً بذلك الى الله سبحانه .

وهدفنا في هذا الفصل ان نبحث عن كيفية تاثير جهاد الانسان مع نفسه على مسيرة تكامله . وقبل الشروع في ذلك يجب ان نبين ونشير الى ان جهاد النفس يوازي ويساوي العبادة بمعناها الاعم . اي التي تشمل الفرائض العشر ـ والتي نصطلح عليها بالعبادة بالمعنى الاخص ـ وغيرها من جميع الاعمال التي يقوم بها الانسان متوجهاً الى الله سبحانه . ولكي نستوضح فكرة تاثير جهاد النفس على تكامل الانسان ، نرى لزاما علينا البحث في الأوجه المختلفة والتفصيلية للعبادات لنتوصل الى كيفية تاثيرها على تكامل الانسان .

العبادة ، والسعي نحو المطلق :

العبادة ـ كما اوضحنا ـ ما هي الّا تعبير عملي عن جهاد الانسان نحو المطلق ، وترجمة هذا التوجه الى واقع عملي تقوم بمهمة ترسيخ هذا التوجُّه وتركيزه . وتوضيحه :

ان الانسان وإن كان مفطوراً على التوجُّه نحو المطلق ، الّا ان الفطرة لا تحدِّد الطريق السليم والمختصر الموصل اليه سبحانه ، فالانسان يولد على معرفة تامة بالله سبحانه وبوجوب السعي نحوه دون ان يكون عنده فكرة واضحة عن الاتجاه الواجب عليه سلوكه ، ومن هنا كان اختلاف الامم والشعوب في طريقة ممارستها لشعائرها

الدينية ، حيث ان الهدف منها جميعها واحد ، وهو السعي نحو الله بعبادته ولكن الطرق مختلفة ومتشعبة .

والاديان السماوية باجمعها اخذت على عاتقها هداية الانسان الزائغ عن طريق الفطرة الى المطلق الذي يجب السعي نحوه ، كما اهتمت ايضاً بهدايته الى الطريق الصحيح الموصل اليه سبحانه فجاء كل منها بنظام من العبادات الهادفة الى تنظيم علاقة الانسان بالمطلق والمصححة لمسيرته نحوه .

وكان الاسلام خاتم تلك الاديان واتمها ، وقد جاء بنظام من العبادات يعتبر بحق من اكمل الانظمة التي جاء بها اي دين آخر ، فربط جميع اعمال الانسان الصالحة بالله سبحانه ، وبذلك شملت العبادات الاسلامية جميع مناحي الحياة البشرية ، فكان المهم في العبادة ان يتجه الانسان بعمله الى الله سبحانه وينوي به التقرب اليه ، وان كانت فائدة هذا العمل تعود على الانسان وحده وبشكل مباشر ، فالخمس والزكاة مثلاً كل منهما عبادة لاتصح بدون قصد القربة الى الله وحده ، ولكن اذا لاحظنا الآثار الاجتماعية التي تخلفانها لوجدنا ان الانسان هو المستفيد المباشر منهما ، اذ انهما تخلقان نوعاً من المساواة والعدالة الاجتماعية ، حيث تصيبان الفقراء لرفعهم بقدر الامكان الى درجة الاغنياء او على الاقل جعل التفاوت بينهما بسيطاً .

فالعبادة اذن هي العمل الذي يتوصل به الانسان الى خالقه ، يقول الامام (ع) :

ـ ان افضل ما توسّل به المتوسلون الى الله سبحانه الايمان به وبرسوله والجهاد في سبيله ، فانه ذروة الاسلام ، وكلمة الاخلاص فانها الفطرة ، واقام الصلاة فانها الملة ، وايتاء الزكاة فانها فريضة واجبة ، وصوم شهر رمضان فانه جنة من العقاب ، وحجّ البيت واعتماره فانهما ينفيان الفقر ويرحضان[1] الذنب ، وصلة الرحم فانها مثراة[2] في المال ومنسأة[3] في الاجل ، وصدقة السّر فانها تكفر الخطيئة ، وصدقة العلانية فانها تدفع ميتة السوء ، وصنائع المعروف فانها تقي مصارع الهوان[4] .

وخلاصة انه لولا العبادة لما ترسخ سعي الانسان نحو الخلق ، ولعله كان اتخذ اتجاهات وتكون في منعطفات تبعد بين الانسان وهدفه ، فكم انه مفطور على التوجه نحو الله سبحانه ، فهو ايضاً مفطور على غرائز اخرى كالانانية وحب الذات ، ولربما حصل شيء من التعارض اذا ما ازدوجت الانسان تلبية نداء كلا الفطرتين ، فيقع في الارتباك وحيرة بين تلبية نداء فطرته الآمر بالتوجه نحو الله سبحانه ، وبين تلبية نداء الفطرة الداعي الى

---

(١) يرحضان : في بعضها .
(٢) مثراة : مكثرة .
(٣) منسأة : في تأخير .
(٤) نهج البلاغة ج ١ ـ ص ٢٠٥ ـ ٢١٦ .

اشباع رغباته الشخصية ، وقد لا تكون احدى الفطرتين اقوى لديه من الاخرى لكي يتبعها ويدع الاخرى ، فيبقى في ضياعه الذي قد يؤدي الى انتكاسات خطيرة على شخصيته ونفسيته .

والعبادة هي الحل ، فهي تقوم بالتنظيم والتنسيق بين اتجاهات كل من الفطرتين لتمكين الانسان من تلبية نداء كل منهما دون حصول اي آثار سلبية على شخصيته فكانت العبادة خير حارس للانسان من الوقوع في ذلك المحذور ، وبهذا يقول عليه السلام :

ـ وعن ذلك ما حَرَس الله عبادة المؤمنين بالصلوات والزكوات ومجاهدة الصيام في الايام المفروضات تسكيناً لاطرافهم وتخشيعاً لابصارهم وتذليلاً لنفوسهم وتخفيضاً لقلوبهم[1] .

وذلك كله يقوم بالدور الاهم في ترسيخ وتنسيق علاقة الانسان بخالقه وسعيه الحثيث نحوه .

وفيما يلي نقوم باستعراض بعض العبادات الاسلامية لنرى مدى تأثيرها على الانسان وعلى مسيرته التكاملية نحو المطلق .

---

(١) نهج البلاغة ج ١ ـ ص ٣٨٤

الصلاة عمود الدين :

يعدد الامام علي (ع) في احدى خطبه بعض العبادات التي هي افضل ما يتصل به الانسان بخالقه ، ومن جملتها الصلاة فيقول :

إن أفضل ما توسَّل به المتوسِّلون الى الله سبحانه . . اقامُ الصلاة فإنها الملة[1] .

والذي جعل الصلاة كذلك هو كونها الملة اي الدين ، فكأنما الدين كله قد اجتمع في الصلاة وهذا يبرز مدى اهميتها وسموّها على باقي العبادات . وبمقدار اهميتها وعلوّ شأنها كان حجم الحث عليها والترغيب بها ، وقد اكثر الامام من التحريض على التزوّد منها فكان من جملة ما قاله :

ـ تعاهدوا امر الصلاة وحافظوا عليها واستكثروا منها وتقرّبوا بها فانها كانت على المؤمنين كتابا موقوتاً . الا تسمعون الى جواب اهل النار حين سئلوا : « ما سلككم في سَقَر ؟ قالوا : لم نَكُ من المصلين » وانها لتَحُتُّ[2] الذنوب حَتَّ الورق وتطلقها اطلاق الربق[3] . وشبهها رسول الله (ص) بالحَمَّةِ[4] تكون على باب الرجل فهو

---

(١) نهج البلاغة ج ١ ـ ص ٢١٥
(٢) تَحت : اي تنثر .
(٣) الربق : اي عُرى الحبل .
(٤) الحمَّة : العين التي تنبع الماء الحار .

يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات، فما عسى ان يبقى عليه من الدرن[1] .

ومن هذا النص التحريضي للامام نفهم امرين : الاول : ان الصلاة هي اهم ما يُسأل عنه العباد يوم القيامة بها يخف ميزان المرء وبها يثقل ، فالنار ما دخلها هؤلاء الاّ لتركهم الصلاة اذ انها هي المقياس ، وذلك ما يؤكده عليه السلام في نص آخر اذ يقول :

ـ والله الله في الصلاة فانها عمود دينكم[2] .

فكما العمود بالنسبة للبيت فكذلك الصلاة بالنسبة لبقية العبادات لا تُقبل ولا تستقيم بدونها ، ويتوضح ذلك اكثر في عهد الامام لمحمد بن ابي بكر اذ يقول (ع) :

ـ واعلم ان كل شيء من عملك تبع لصلاتك[3] .

والثاني : ان الصلاة تمحي الذنوب باجمعها فيخرج المرء من صلاته وكأن لاذنب عليه وهو ما يؤكده الامام بقوله :

ـ ما اهمني ذنب امهلت بعده حتى اصلي ركعتين واسأل الله العافية[4] .

---

(١) نهج البلاغة ج ١ ـ ص ٤١٣ ـ ٤١٤
(٢) نهج البلاغة ج ٢ ـ ص ٧٦
(٣) نهج البلاغة ج٢ ـ ص ٢٩
(٤) نهج البلاغة ج٢ ـ ص ٢٠٨

وجَعْلُ الصلاة باباً للتوبة وجعلها عمود الدين ، ـ ومن خلال فهمنا لواقع العبادات الاسلامية ـ يجعلنا نتأكد ان في الصلاة ميزة ما هي التي جعلتها بهذه الاهمية وانزلتها في هذه المرتبة ، وهذه الميزة نفهمها من الامام نفسه حيث يصرح بأن الصلاة فرضت على الناس :

ـ اذهابا للخُيلاَء عنهم ، لما في ذلك من تعفير عتاق[1] الوجوه بالتراب تواضعاً ، والتصاق كرائم الجوارح بالارض تصاغراً[2] .

ويقول ايضاً :

ـ فرض الله . . . الصلاة تنزيها عن الكِبَر[3] .

فالصلاة اذن لها اثر نفسي واخلاقي تبدو ملامحه واضحة على المصلين ، وهو نزع التكبُّر من نفوسهم وإذهاب الخيلاء عنهم ، اذ الشعائر والاعمال التي يؤديها المصلي في صلاته تفرض ذلك ، وهي ما عبَّر عنه الامام بتعفير الوجوه بالتراب والتصاق عدة مواضع من البدن بالارض . وانسان يمارس هذه العملية خمس مرات في اليوم او اكثر ـ مع ما فيها من التذلل لله والخضوع لوجهه ـ كيف يحتمل فيه انطواء نفسه على ذرة من التكبر والخيلاء !

والتكبُّر مبغوض ، ونقيضه ـ وهو التواضع ـ مطلوب ، لان التكبر هو احد اهم اسباب تَباعد الشقّة بين الانسان والانسان ، وهو

---

(١) عتاق : جمع عتيق اي كرائم .
(٢) نهج البلاغة ج ٢ ـ ص ٣٨٤
(٣) نهج البلاغة ج ٢ ـ ص ١٩١

مما يجعل التعاون والتعاضد بين بني البشر في سبيل مجتمع واحد متكامل مستحيلاً . يقول الامام :

ـ ولا وحدة اوحش من التكبُّر[1] .

فالانسان المتكبِّر هو انسان اناني انطوائي ، يعيش وحيداً جافياً لبني جنسه اذ يشعر بانه افضل منهم واكمل وان نوعه يختلف عمّن سواه لذلك يرى ان الاخرين لايستحقون ان يلتفت اليهم او يسأل عن احوالهم وشؤونهم . والمجتمع الذي هذا شأنه والذي يعيش افراده في وحدات مستقلة يستحيل ان يعرف التكامل اوان يتطلع اليه . بينما التواضع يفعل العكس ، فانه يكشف عن كبرياء داخل الانسان وعن احترام وتقدير لانسانية الانسان مهما كان نوعه او جنسه او لونه ،ويكشف بالتالي عن اعتراف كامل بالهدف من خلقه ، وسوف يدرك ان تحقيق الهدف يستوجب البحث عن كيفية تفكير الآخرين وطبيعة مشاعرهم ليستوضح على ضوئه كيف يجب ان يكون تعامله معهم ومبادلة ما عندهم لتحقيق هدف الجميع . والصلاة هي التي تقصي على الكبر في النفوس وتحلّ التواضع محله . وبذلك يتلاشى هذا المرض من النفوس والذي كان يقف حائلاً دون تكامل النفس والمجتمع .

واضافة الى ذلك فالصلاة تهدف الى امر آخر وهو لايتحقق دون تأديتها جماعة لذلك كان الامام يلاحظ اهمية توقيت الصلاة حتى

---

(١) نهج البلاغة ج ٢ ـ ص ١٦٢

تكون الجماعة اكبر ، ولذلك كان من جملة ما اوصى به محمد بن ابي بكر حين قلّده مصر :

ـ صلِّ الصلاة لوقتها المُوَقَّت لها ، ولا تعجل وقتها لفراغ ولا تؤخِّرها عن وقتها لاشتغال[1] .

فالصلاة عبادة فردية في الاساس ، وتحويلها الى عبادة جماعية له مغزى عميق اذ انه يعبر عن وحدة المسلمين واتحادهم في جميع شؤون حياتهم ومستقبلهم من خلال اتحادهم في هذه الصلاة التي يؤدون شعائرها موحّدين خمس مرات في اليوم . كما يشعر كل فرد من الجماعة بالآخرين من حوله فيعيش معاناتهم ومشاكلهم فتزداد الالفة فيما بينهم ويعم التعاطف الجميع .

وتاتي صلاة الجمعة لتؤكد على الوحدة والتضامن حيث كانت شروطها زائدة عن غيرها من الصلوات ، وكل هذه الشروط تهدف الى حشد اكبر عدد من المصلين في تجمع واحد ، فحدِّد عدد المصلّين وحدّدت المسافة بين الجماعة والاخرى حتى يندمج الجميع في تجمُّع واحد كبير ، ويد الله مع الجماعة ، ولذلك كان الامام يحث عليها بشكل خاص ويكتب الى ولاته على الامصار مؤكداً عليهم وجوب الاهتمام بها ، فكان من جملة ما كتبه الى الحارث الهمداني :

ـ ولا تسافر في يوم جمعة حتى تشهد الصلاة الاّ فاصلاً[2] في سبيل الله او في امر تُعذر به[3] .

---

(١) نهج البلاغة ج ٢ ـ ص ٢٩

(٢) فاصلاً : اي خارجاً.

(٣) نهج البلاغة ج ٢ ـ ص ١٣٠

الصيام زكاة البدن :

يقول عليه السلام في فضل الصيام :

- وصوم شهر رمضان فانه جُنَّةَ[1] من العقاب[2] .

فبالصوم يحتمي الخلق من العقاب الذي كانوا استحقوه ، اذ انه يشكل الوقاية الكافية لانقاذهم من الهلاك والعذاب . وكفى بهذا ترغيبا به وحثاً عليه .

واما عن الكيفية التي يحقق بها الصوم تكامل النفس فيقول الامام :

- ولكل شيء زكاة ، وزكاة البدن الصيام[3] .

ان الانسان مكوَّن من روح وجسد ، والروح تشده الى عالم التكامل وتحاول ان ترتفع به الى اسمى الدرجات التي ارداها الله له ، بينما الجسد يدعوه الى عالم المادة ، عالم اللذات والنزوات الشخصية الدنيئة التي تهبط به في حال الانغماس بها الى ادنى مراتب الحيوان . ومن المؤكد ان الانسان كلما ارتفع ببدنه وحصّنه عن الوقوع والانحدار في عالم المادة ، كلما كانت الفرصة اكبر إمام الروح للسعي في مجال تكاملها . والعكس ايضاً صحيح فان الانغماس

---

(١) الجنة : اي الوقاية .
(٢) نهج البلاغة ج٢ - ص ٢١٥
(٣) نهج البلاغة ج ٢ - ص ١٧٠

في الشهوات وتلبية الرغبات الحيوانية يقف حائلا بين الروح وبين تحقيق هدفها من التكامل .

وهنا يأتي دور الصوم وتبرز اهميته ، اذ انه ـ كما اوضح الامام ـ يزكّي البدن ويطهره من المادة ودنسها ويخلقه من جديد نقياً طاهراً اهلا للروح ولتطلعاتها نحو المطلق ، وهو في الوقت نفسه خير رادع للانسان عن الهبوط والانحدار في مزالق الشر والرذيلة ، وذلك مما يتيح للروح متابعة مسيرتها في طريق التكامل المنشود .

ويؤكد الامام هذا المعنى حين يقول مشيراً الى الصوم واثره على عباد الله المؤمنين :

ـ ومجاهدة الصيام في الايام المفروضات تسكيناً لاطرافهم وتخشيعاً لأبصارهم وتذليلاً لنفوسهم وتخفيضاً لقلوبهم واذهاباً للخُيلاء عنهم ، لما في ذلك من . . لحوق البُطون بالمتُون[1] من الصيام تذللاً[2] .

لقد اطلق عليه السلام عن تأدية فريضة الصوم بأنه (مجاهدة) ، وذلك لما فيها من الجهد على الانسان حيث انها تفرض عليه نظاماً غذائياً صعباً لم يعتد عليه من قبل ويحتاج الى جهاد ومعاناة ليصبر عليه .

والصيام ـ كما يشير الامام ـ مدعاة للتواضع مع الآخرين

---

(١) المتون : اي الظهور .
(٢) نهج البلاغة ج ١ ـ ص ٣٨٤

والشعور بالرأفة نحوهم والعطف عليهم ، فحينما يجاهد الانسان نفسه طوال النهار ويرفض طلباتها الملحّة من المأكل والمشرب الذي كانت قد اعتادته ، فانه بذلك يكون قد قهرها واذلّها ، فتصبح مطواعة لله ومنقادة لتعاليم فطرته التي تدعو الى التكامل ، بعد ان يكون قد تحرر من العبودية المطلقة لها .

والصوم هو الامتحان الجدي الذي يؤديه الانسان بعد جهاد طويل استمرَّ احد عشر شهراً قضاها في التوجُّه الى الله سبحانه بالعبادة من الصلاة والزكاة وغيرها ، فكانما جميع هذه العبادات كانت تهدف لتربية النفس وتهيئتها لتكون مؤهَّلة لاجتياز هذا الامتحان المتمثل بالصوم ، فاذا ما اجتازه الانسان وادّى هذه الفريضة على وجهها كان ذلك كافياً في الدلالة على ان جميع عباداته السابقة قد قُبلت اذ انها ادّت الهدف المرجو منها وهو تذليل النفس وتطويعها .

ومن جهة اخرى فان جميع العبادات التي يقوم بها الانسان ـ غير الصوم ـ لا بدَّ ان يشهدها الآخرون وخاصة ان اراد هو ذلك ، فطبيعة الحج تفرض التجمع البشري ، والصلاة يستحب تأديتها في المسجد بصورة الجماعة ، والزكاة والفرائض المالية الاخرى يستطيع التحكُّم في وقت تاديتها بحيث يشهد الناس ذلك ، وهكذا . . الا الصيام فان اظهاره للآخرين مستحيل مهما حاول الانسان ذلك واراده ، لانه ليس الاّ عدم الفعل ، والعدم لايمكن ابرازه ، وتصريحه بصيامه للآخرين غير كاف لانه ا س سوى إخبار يحتمل الصدق والكذب .

فالصيام اذن هو الفريضة الوحيدة التي لايشهدها سوى الله سبحانه ، ولذلك كان كما يقول الامام علي (ع) :

ـ والصيام ابتلاء لاخلاص الخلق[1] .

فالله سبحانه انما فرض الصيام على الخلق لتمحيصهم واختبار مدى اخلاصهم في العبادات التي يؤدونها متوجهين بها الى خالقهم ، فمن هذه العبادة يستطيع الانسان ان يتحقق من ان جميع عباداته السابقة قد قُبلت لانها كانت مخلصة لله وحده ولم يقصد بها الرياء امام الناس ، هذا فيما لو قام بها وادّاها ؛ واما في حال العكس فان ذلك يكشف عن النفاق في عباداته وبالتالي بطلانها .

واخيراً ، فان الصيام مدعاة لتوحيد البشرية حيث انه يصهر الامة الاسلامية في اسرة واحدة تؤدي عملاً معيناً في وقت محدد ، بما تتبعه من نظام غذائي موحّد ، فتتوحد النفوس وتتآلف وإن كانت الاجسام متفرقة .

ومن ذلك كله يظهر كيف يكون الجهاد نحو الله سبحانه بتأدية فريضة الصوم مدعاة لتكامل البشرية .

---

(١) نهج البلاغة ج ٢ ـ ص ١٩١ .

الحج جهاد الضعفاء :

ان فريضة الحج من جملة العبادات التي فرضها الله سبحانه لتطهير النفس وتمكينها من ارتقاء سلّم تكاملها ، وما هي في الحقيقة الاّ مجموعة من المناسك والشعائر الخاصة تقام في امكنة خاصة ، تهدف كلها الى تحقيق الغاية المتمثلة بالتكامل .

فمثلا الامكنة التي لا تصح المناسك دون تأديتها فيها ، فان اختيارها لم يكن عشوائياً وتابعاً للصدفة بل كان لحكمة تدعو الى اختيارها ، فانا نلاحظ ان هذه الامكنة باجمعها قاحلة جرداء خالية تماماً من زخارف الدنيا وزينتها ، وحكمة ذلك ان يتفرغ الانسان الى عبادة ربّه بعيداً عن تلك المغريات الدنيوية ويوضح الامام هذا الامر بقوله :

ـ ان الله سبحانه اختبر الاوّلين من لَدُن آدم صلوات الله عليه الى الآخرين من هذا العالم باحجار لا تضرُّ ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع . فجعلها بيته الحرام الذي جعله للناس قياماً ، ثم وضعه بأوعر بقاع الارض حجراً واقل نتائق[1] الارض مدراً[2] ،واضيق بطون الادوية قُطْراً[3] بين جبال خشنة ورمال دمِثةٍ[4] وعيون وشِلَة[5] ،

---

(١) النتائق : جمع نتيقة . اي الارض المرتفعة .

(٢) المدر : قطع الطين اليابس .

(٣) القطر : الجانب

(٤) الدمثة : اي اللينة .

(٥) الوشلة : قليلة الماء .

وقرى منقطعة ، لا يزكو[1] بها خُفٌ[2] ولا حافر[3] ولا ظِلْفٌ[4][5] .

فهذه هي الكعبة والمكان الذي بنيت فيه ، مجموعة احجار صم لا تضر ولا تنفع ـ كما هو تعبير الامام ـ قد صُفَّت بطريقة خاصة وجُعلت مقدَّسة ومحرَّمة ، وليتها كانت في مكان يستدعي التقديس والتبجيل من الانسان ـ بان كانت بين رياض وانهار ـ بل انها وضعت في ارض وعرة صعبة ترتفع عن غيرها من البقاع ، ولكنها تفقد الصلاحية للزرع والانبات اذ يقل فيها المدر ـ الذي هو الطين اليابس ـ . ويزيد في وعورتها كون وديانها ضيقة يصعب السير فيها والاستفادة منها ، وخاصة بعدما فرشت به من رمال لينة تكفي وحدها لاعاقة الاستنبات والتنقل سواء للانسان ام الحيوان . واما عيون الماء التي فيها فهي ضحلة بالكاد تقوم بحاجة المسافرين الضرورية ، وفوق هذا كله فهي ارض نائية ليس بجوارها مخلوق .

اذن فهذه هي مكة من حيث المكان ـ وكما يصفها الامام علي (ع) ـ وبالطبع فان الله سبحانه قد اختار هذه الارض ليجعل فيها بيته الحرام لحكمة يبيّنها الامام في نهجه حيث يقول :

---

(١) يزكو : اي ينمو .
(٢) الخف : عبارة عن الجمال .
(٣) الحافر : عبارة عن الخيل والبغال .
(٤) الظلف : عبارة عن البقر والغنم .
(٥) نهج البلاغة ج ١ ـ ص ٣٨١

ـ ثم امر ـ سبحانه ـ آدم وولده ان يثنوا اعطافهم[1] نحوه ، فصار مثابة[2] لمنتجع[3] اسفارهم ، وغاية لملقى رحالهم ، تهوى اليه ثمار الافئدة من مفاوز[4] قفار سحيقة ومهاوي فجاج[5] عميقة ، وجزائر بحار منقطعة ، حتى يهزُّوا مناكبهم ذُلُلا يُهلُّون[6] حوله ، ويرملون[7] على اقدامهم شُعثاً[8] غُبْراً له ، قد نبذوا السرابيل وراء ظهورهم ، وشوّهوا بإعفاء الشعور محاسن خَلْقهم ، ابتلاءً عظيماً وامتحاناً شديداً واختباراً مبيناً وتمحيصاً بليغاً جعله الله سبباً لرحمته ووصلة الى جنته[9] .

فالحكمة من اختيار هذه البقعة الجرداء الوعرة وجعلها ارضاً مقدسة محرّمة هي في قهر النفس وتمحيص حقيقة ما تنطوي عليه من صدق او رياء في تأديتها هذه العبادة ، اذ ان ما فيها من مشقة وتعب يدل على ان مؤديها يتصف بالاخلاص في النية

---

(١) يثنوا اعطافهم : اي يميلوا اليه .
(٢) المثابة : المرجع .
(٣) المنتجع : طلب الكلاء والماء .
(٤) مفاوز : الفلوات الواسعة .
(٥) الفجاج : الطرق الواسعة بين جبلين .
(٦) يهلّون : يرفعون اصواتهم بالتلبية .
(٧) يرملون : يهرولون .
(٨) اشعث : اي اغبر الرأس .
(٩) نهج البلاغة ج ١ ـ ص ٣٨٢

والصدق في العبادة ، اذ ليس من المألوف ان يتحمل الانسان كل تلك المشاق اذا لم يكن مخلصاً في توجهه الى الله ومنقاداً لاوامره .

واما لو كان العكس ، بأن كان البيت الحرام في جنات فسيحة ورياض غنّاء او كما يصف الامام :

ـ ولو اراد الله سبحانه ان يضع بيته الحرام ومشاعره[1] العظام بين جنات وانهار وسهل وقرار[2] جمّ الاشجار داني الثمار ، مُلتفّ البُنى ، متصل القرى ،[3] بين بُرّة سمراء وروضة خضراء ، وارياف مُحدقة [4] وعِراص مغدقة[5] ،ورياض نضرة وطُرق عامرة . لكان قد صَغُر قدر الجزاء على حَسَب ضعف البلاء .

ولو كان الاساس المحمول عليها والاحجار المرفوع بها بين زمردة خضراء وياقوتة حمراء ونور وضياء لخفّف ذلك مسارعة الشك في الصدور ولوضع مجاهدة ابليس عن القلوب ولنفى معتلِج[6] الريب من الناس[7] .

---

(١) المشاعر : مواضع المناسك .

(٢) القرار : المستقر من الارض .

(٣) البرّة : اي الحنطة .

(٤) محدقة : محيطة .

(٥) مغدقة : كثيرة الماء .

(٦) المعتلج : اي الالتطام والاضطراب .

(٧) نهج البلاغة ج ١ ـ ص ٣٨٢ .

فالله سبحانه قادر على ان يجعل بيته الحرام في امكنة كتلك التي يصفها الامام بين جنات وانهار واشجار وثمار ولكن ذلك لن يكون من مصلحة الخلق لان الجزاء عادة يكون على قدر البلاء ، وحين يكون البلاء قليلاً يأتي الجزاء على مقداره والله سبحانه قد جعل الابتلاء في مشاعر الحج طريقاً الى جنته وسبباً لنزول رحمته ـ كما هو مقتضى كلام الامام السابق الذكر ـ هذا من جهة .

ومن جهة اخرى فان النفس بطبيعتها تعشق الجمال ، وقد جعل الاقدمون للجمال آلهة تُعبد ، فلو كانت شعائر الحج مفروضة في اماكن نضرة جميلة لمالت النفس اليها وسهل امر التعبّد بها ، وحينئذ تنتفي الحكمة من الحج المتمثلة في مجاهدة النفس ، لان النفس لو تركت وهواها لصبت الى تلك الامكنة لانها تعشق الجمال وتقدسه ، ولما احتاج القيام بواجب هذه العبادة الى مجاهدة ابليس المضِل والزارع الشك في صدورهم ، وبدون مجاهدته لاتاخذ النفس مجال تكاملها .

ونلاحظ من كلام الامام ان الحكمة التي اقتضت كون الانبياء ليسوا اولي قوة وغنى وسلطان ، هي نفسها الحكمة التي اقتضت جعل البيت الحرام في ارض قفر جرداء ، وهي تمحيص ما في النفوس واختبار صدقها واخلاصها . فلو كان الانبياء اهل قوة وغنى ، لكان اتباعهم لتحقيق المصالح الشخصية من كسب الاموال والشعور بالحماية التي يؤمنها من يكون في مركز السلطة او المتمتع بالقوة الكافية . وكذلك الحال بالنسبة لامكنة اقامة الشعائر الدينية لو كانت بين جنات وانهار لمالت اليها النفوس لهذا السبب .

ـ ولكن الله يختبر عباده بأنواع المشدائد ، ويتعبدهم بأنواع المَجاهـد ويبتليهم بضروب المكارِه ، اخراجاً للتكبُّر من قلوبهم ، واسكاناً للتذلّل في نفوسهم وليجعل ذلك ابواباً فُتحاً[1] الى فضله واسباباً ذُلُلا[2] لعفوه[3] .

فالشدائد التي يلاقيها الحاجّ هي لاجل الامتحان والاختبار ، وقد اراد الله سبحانه لهذه العبادة ان تكون كذلك ليتمكن الانسان من مجاهدة نفسه واخراج ما فيها من تكبر واستعلاء وزرع نقيضه من تواضع وتذلل يكون خير معين له في مسيرة تكامله .

ولترغيب الانسان ولحثّه على احتمال كل تلك الشدائد ، جعلها الله سبحانه الباب الذي يدخل منه الناس الى رحمته وعفوه .

ولزيادة الترغيب في الحج فقد جعل فيه سبحانه اثاراً اخرى ينال بعضها المرء في حياته الدنيوية ، كذهاب الفقر مثلاً ، يقول عليه السلام :

ـ وحج البيت واعتماره فانهما ينفيان الفقر ويرحضان[4] الذنب[5] .

---

(١) فتحاً : اي مفتوحة واسعة .
(٢) ذللا : اي مسهّلة .
(٣) نهج البلاغة ج١ ـ ص ٣٨٣
(٤) يرحضان : اي يغسلان .
(٥) نهج البلاغة ج ١ ـ ص ٢١٥

وهذا كله من حيث المكان الذي جعل فيه البيت الحرام ، وهناك حكمة اخرى لا تقل اهمية عن هذه وهي تتجلى في توقيت الحج وجعله في ايام معدودة ، اذ ان ذلك يقتضي تجمعاً اسلامياً هائلاً ، لو حُشدت اكبر الطاقات الانسانية لما قدرت على فعل ما يماثله . فالحج بمثابة مؤتمر اسلامي تقوم به الامة المسلمة لتعبّر عن وحدتها وتضامنها حيث تقوم بتأدية مناسك موحدة وافعال معينة في وقت واحد ، ولا يخفى ما في هذا الاتحاد في الابدان من اثار على النفوس اذ يجعلها موحدة متطلعة الى مصلحتها الجماعية لا الفردية .

واخيراً فان الحج شكل من اشكال جهاد النفس ، ولكن الله سبحانه قد عوّض به الضعفاء الذين لايستطيعون على الجهاد بالسيف في سبيله وعلى الفوز بالشهادة ، فجعل سبحانه الحجّ هو جهادهم ، وبهذا يقول عليه السلام :

- والحج جهاد كل ضعيف[1]

وفي الحقيقة ان تنزيل الحج منزلة الجهاد بالسيف ليس فقط لاجل الترغيب فيه ، بل انه جهاد فعلي وذلك من حيث الاثر الذي يتركه على افراد الامة المسلمة والتي من جملتها المقاتلون في سبيل الله ، اذ ان الكثرة تولد الشجاعة ، فالمسلم المقاتل عندما يشعر بهذه الكثرة وبوحدتها فان ذلك يؤثر ايجابياً على نفسيته ويجعل النصر المحقق حليفه .

---

(١) نهج البلاغة ج ٢ - ص ١٧٠ .

الزكاة : سبب الرزق .

الزكاة من العبادات الاسلامية الاساسية والتي تحتل نفس الاهمية التي للصلاة ، لما نلاحظه من الاقتران الدائم بينهما في الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وفي نهج البلاغة .

والزكاة عبادة مالية في الاساس ، ولكنها تتطلب قصد القربة كسائر العبادات ، وذلك انها تهدف الى امرين :

الاول : تطهير النفس الانسانية المجبولة بطبيعتها على الشح والبخل ، والسمو بها الى اعلى درجات الكمال ، يقول عليه السلام في بيان ذلك :

> ـ ثم ان الزكاة جعلت مع الصلاة قرباناً لاهل الاسلام ، فمن اعطاها طيِّب النفس بها فانها تُجعل له كفارة ومن النار حجازاً ووقاية .
>
> فلا يتبعنَّها احدٌ نفسه ولا يكثرن عليها لهفه . فان من اعطاها غير طيب النفس بها يرجو بها ما هو افضل منها فهو جاهل بالسنة مغبون الاجر ضال العمل طويل الندم[1].

من هذا النص يتضح كيف ان الزكاة تهدف بشكل اساسي الى تطهير النفس الانسانية من رذيلة البخل والحرص ،

---

(١) نهج البلاغة ج ١ ـ ص ٤١٤

فليس المقصود من فريضة الزكاة دفع بعض الاموال وكفى ، بل هناك كيفية خاصة للدفع وهي ان يكون عن قناعة وطيب نفس ، ففي هذه الصورة فقط تكون الزكاة مقبولة ، وحينئذٍ تحقق آثارها التي وعد الله بها المزكّين اموالهم فتكون لهم عن الذنوب كفارة ومن النار وقاية ، كما تبيّن من النص المتقدّم ، وفي الحقيقة ان هذين الاثرين هما بعض آثار الزكاة والانسان موعود بهما في الآخرة يوم يقوم الحساب ، ولكن هناك بعض الآثار للزكاة يجنيها المؤدي لها في حياته الدنيوية ، نستخلصها من كلام الامام في نهجه اذ يوصي :

- حصّنوا اموالكم بالزكاة[1] .

وقوله معللاً تشريع الفريضة :

- فرض الله الزكاة تسبيباً للرزق[2]

فالمال المزكى يمتلك حصانة الهية من الضياع والتلف ، كما ان فيه بركة الهية تضمن رجوعه الى اصله الذي كان عليه قبل تادية الفريضة والزيادة عن ذلك بمدة قصيرة ، وهو ما قد اثبتته التجارب .

ولربما كان اصل اطلاق لفظ الزكاة على هذه العبادة ملاحظاً فيه هذين الامرين وذلك ان الزكاة في اللغة - كما في لسان العرب -

---

(١) نهج البلاغة ج ٢ - ص ١٧١
(٢) نهج البلاغة ج ٢ - ص ١٩١

هي الطهارة والنماء والبركة والمدح .

وعلى كل حال فان مما يؤكد على ان فريضة الزكاة تهدف الى تطهير النفس بشكل اساسي ، ما نلاحظه من تاكيد الامام المستمر لولاته وعماله على الصدقات بأن لا يجبروا احداً من الرعية على دفع زكاة امواله ، بل إن رغب في الدفع اخذوا منه والا تركوه وشأنه لانها فريضة لاتقبل الاّ عن طيب نفس ، وكان من جملة ما كتبه عليه السلام لبعض عماله :

ـ انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له ، ولا تروِّعَن[1] مسلماً ولا تجتازنَّ عليه كارهاً ، ولا تأخذن منه اكثر من حق الله في ماله .

فاذا قدمت على الحي فانزل بمائهم من غير ان تخالط ابياتهم ، ثم امضِ اليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم ، ولا تُخْدِج[2] بالتحية لهم ، ثم تقول : عباد الله ارسلني اليكم وليُّ الله وخليفته لاخذ منكم حق الله في اموالكم ، فهل في اموالكم من حق فتؤدُّوه الى وليِّه ؟ فان قال قائل لا ، فلا تراجعه[3] .

---

(١) روّعه : اي خوفه .
(٢) لاتخدج : اي لاتبخل .
(٣) نهج البلاغة ج٢ ـ ص ٢٣ ـ ٢٤

ولكلام الامام تتمة تراجع في النهج .

ومما تقدم اصبح واضحاً ان اول ما تهدف اليه فريضة الزكاة هو تطهير النفس من رذيلة البخل .

واما الهدف الاخر من تشريع الزكاة فهو يتمثّل في اثرها الهام على المجتمع ككل وما تتركه فيه من مواساة الاغنياء للفقراء باموالهم والارتفاع بهم من حالة المعاناة التي يعيشونها . يقول الامام في بيان ذلك :

- . . مع ما في الزكاة من صرف ثمرات الارض وغير ذلك الى اهل المسكنة والفقر[1] .

- ان الله سبحانه فرض في اموال الاغنياء اقوات الفقراء فما جاع فقير الّا بما مُتِّع به غني[2]

فالزكاة تدفع الى اهل المسكنة والفقر لنجدتهم مما يعانونه ، وليس للاغنياء في ذلك اي مِنَّة او فضل ، فهم انما يبذلون حقّ الغير - ليس الا - الذي في اموالهم ، وعلى الغني ان يدرك ذلك ويعرف انه مسؤول عن الفقير اينما وجد ، فان ما بين يديه من اموال ونعم زائدة عن احتياجاته انما هي حصيلة ما حُرِمَ منه اخرون من بني جنسه ، وما هذه الاموال التي يؤديها بعنوان الزكاة الّا بعض ما جمعه على حسابهم . وقول الامام المتقدم كما يُشعِر الغني بواجبه تجاه الفقير ، فكذلك يُفهم الفقير وجود حقّه

---

(١) نهج البلاغة - ج ١ - ص ٣٨٤
(٢) نهج البلاغة ج ٢ - ص ٢١٤

عند الغني ، وقد وردت عنه عليه السلام احاديث كثيرة تنهى عن تذلل الفقراء امام الاغنياء طمعاً بما في ايديهم ، اذ ان حقهم قد تعلّق بتلك الاموال فلا داعي للتذلل . يقول عليه السلام :

ـ ما احسن تواضع الاغنياء للفقراء طلباً لما عند الله ، واحسن منه تيهُ الفقراء على الاغنياء اتكالاً على الله[1]

واذا ما وعى كل من الفقير والغني ذلك ، وادى الغني للفقير حقّه فان المحبة والاخاء سوف تسود بينهما بدل التناحر والعداء فيمد كل منهما يد العون للآخر ليرتفعا بالمجتمع ـ وقد زالت منه الفروقات الطبقية ـ الى اسمى درجات الكمال .

وقد بقي من العبادات التي تذكر عادة متسلسلة : الجهاد ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر . ولكنّا افردنا لذلك فصلاً مستقلاً تحت عنوان « جهاد الانسان مع الانسان » فانه وان كانت جميع العبادات لها نحو تاثير على علاقة الانسان مع اخيه ، ولكن الجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر تختلف في ان المقصود منها اولاً وبالذات هو هذه العلاقة الانسانية ، بخلاف بقية الفرائض ولذلك افردناها في البحث .

---

(١) نهج البلاغة ج ٢ ـ ص ٢٣١

الفصل الثالث

جهاد الانسان مع الانسان

اشكال جهاد الانسان مع الانسان :

ان جهاد الانسان مع الانسان ضروري جداً وله دور هام ورئيسي في مسيرة التكامل الانسانية ، وذلك بما يتركه من آثار على جهاد الانسان مع نفسه وجهاده نحو الله سبحانه . فان الفكر اذا لم يُعط حريته كاملة ويحرَّر من كل الوان القيود فانه لن يتمكن ابداً من السعي بحرية واندفاع نحو المطلق ، هذا السعي الذي نسميه بالجهاد نحو الله . كما ان العبادات المفروضة لن تؤدى على وجهها المطلوب اذا كان الانسان يرزح تحت القيود التي تعيق حرية حركاته .

وللتحرر من كل الوان القيود كان لا بدَّ من الجهاد المستمر ، جهاد الانسان مع اخيه الانسان . وهذا الجهاد على عدة اشكال قد جمعها الامام بقوله :

- والله الله في الجهاد باموالكم وانفسكم والسنتكم في سبيل الله[1] .

والجهاد بالاموال هو ما يشمل الخمس والزكاة والصدقة ، والجهاد بالانفس هو قتال المشركين والكفار والمنافقين ، والجهاد

---

(١) نهج البلاغة ج ٢ - ص ٧٧

بالالسن هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وترتيب الامام المتقدم لأشكال الجهاد ، ربما يكون قد لوحظ فيه مدى المشقة والمعاناة التي يلاقيها الانسان خلال تاديته لهذه الفريضة . فان الجهاد بالمال اصعب على الانسان من الجهاد بالنفس ، اذ ان المجاهد بنفسه يذهب الى ساحة المعركة وهو واثق من عودته الى اهله وعياله سالماً ، ولا تراود ذهنه فكرة ان يُقتل في ساحة المعركة اطلاقاً ، والاّ لجُبن كثيرون عن القتال . بينما باذل الاموال فانه يدرك تماماً ان كل ما يدفعه فانه ينقص من رصيده ولا امل في رجوعه اليه ، نعم ذلك لاينافي ثقته بان الله سوف يعوضه اياه اضعافاً كثيرة . واما الجهاد باللسان ، فبالرغم من حاجته الى قوة في الايمان وصلابة في العقيدة فانه يبقى اهون على النفس من سابقيه .

وقبل ان ندخل في تفصيل الكلام عن اشكال الجهاد المتقدمة نرى من اللازم ان نستعرض اولاً بعض كلمات الامام حول هذا الموضوع ، والتي قد يُفهم منها وجود اشكال اخرى للجهاد غير التي ذكرناها ، او وجود ترتيب آخر بينها غير الذي تقدم . فمن ذلك قوله عليه السلام :

> ـ أول ما تُغلبون عليه من الجهاد ، الجهاد بأيديكم ثم بالسنتكم ثم بقلوبكم . فمن لم يعرف بقلبه معروفا ولم ينكر منكراً قُلب فجعل اعلاه اسفله واسفله اعلاه[1] .

---

(١) نهج البلاغة ج ١ ـ ص ٢٢٦

فما يذكره الامام هنا يختلف عما تقدَّم منه عليه السلام ، ان من حيث تعداد الاشكال او من حيث ترتيبها ، اذ قد ادخل هنا الجهاد بالقلب واغفل الجهاد بالمال .

ولكن الواقع ان ما يذكره الامام هنا من اشكال الجهاد ، انما يختص بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهو يجعله على ثلاث مراتب :

اولها الجهاد بالايدي ثم الجهاد بالالسن واخيراً الجهاد بالقلوب . ومما يؤكد هذا المعنى ما نجده في خطبة اخرى للامام يقول فيها :

> ـ ايها المؤمنون انه من رأى عدواناً يُعمل به ومنكراً يُدعى اليه فانكره بقلبه فقد سَلِم وبَرىء . ومن انكره بلسانه فقد أجِر ، وهو افضل من صاحبه ، ومن انكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين هي السُّفلى فذلك الذي اصاب سبيل الهدى وقام على الطريق ونوَّر في قلبه اليقين[1] .

فقد تبين من ذلك ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر له ثلاث مراتب سنفصِّل الكلام حولها في حينه ، اما الآن فنبدأ بالشكل الاول من اشكال الجهاد في سبيل الله ، وهو الجهاد بالمال .

---

(١) نهج البلاغة ج ٢ ـ ص ٢٢٥

أ ـ الجهاد بالاموال :

الله سبحانه وتعالى هو المالك المطلق ، بمعنى ان جميع ما على الارض من ارزاق وممتلكات فانها تعود اليه وحده ، ولكنه سبحانه قد وهب كل ذلك لعباده باجمعهم ليستفيدوا منه ويستخدموه في قضاء حوائجهم وتأمين ما يضمن لهم استمرار وجودهم . والحكمة الالهية الناظرة الى مصلحة العباد قد اقتضت حدوث الملكيات الخاصة ـ وذلك مما ينسجم مع انانية الانسان ويرضي غريزة التملك فيه ـ اذ ان ترك كل تلك الارزاق مشاعة بين جميع الناس يستنفذ الفائدة منها بسرعة ويضر بروح التعاون بين بني البشر .

ولكن الله سبحانه ـ وقد سمح بالملكيات الخاصة ـ قد راقب تلك الملكيات ولم يدعها تاخذ مداها الذي تريده والذي يؤدي قطعاً الى وقوع ظلم كبير بين الانسان والانسان ، بل انه سبحانه قد هذّب تلك الملكيات بحيث تقع في خدمة المجتمع الانساني بأسره ، فعزل قسماً منها او من فوائدها وامر بصرفها بما فيه مصلحة المجتمع ، وقام بافهام المالكين والحائزين على الاموال بانها ليست حقاً مطلقاً لهم بل ان بقاء ملكيتهم لها مشروط بالانفاق . وبهذا المعنى يقول الامام علي عليه لسلام :

> ـ ان لله عباداً يختصهم الله بالنعم لمنافع العباد فيقرها[1] في ايديهم ما بذلوها فإذا منعوها نزعها منهم ثم حولها الى غيرهم[2] .

---

١) يقرها : اي يبقيها .

٢) نهج البلاغة ج ٢ ـ ص ٢٣٥

ويقول عليه السلام ايضاً :

- ان لله في كل نعمة حقاً فمن ادّاه زاده منها ، ومن قصَّر عنه خاطر بزوال نعمتـه[1] .

فيتضح من كلام الامام ان جعل الملكية الخاصة انما هو لاجل المصلحة العامة ، وهذا يعني ان المصلحة العامة هي المقدمة ولها حق الاولوية في حال معارضة الملكية الخاصة لها ، وعلاج هذا الامر حال حدوثه يكون بنقل الملكيات الخاصة الى ايدٍ جديدة يكون من شأنها الحفاظ على المصلحة العامة ، واما الغاء الملكيات وجعل الارزاق مشاعة بين الجميع فهو مما لمْ تره الحكمة الالهية حكيماً لانه لا يحقق المصلحة كما اوضحناه .

والحفاظ على المصلحة العامة يتحقق بان يعزل المالك قسماً من امواله ويصرفها في الموارد التي ترضي الله ورسوله والتي يعددها الامام بقول:

- فمن آتاه الله مالاً فليصل به القرابة ، وليُحسن منه الضيافة ، وليُفكَّ به الاسير والعاني ، وليعطِ منه الفقير والغارم[2] .

والله سبحانه من خلال حثّه على الانفاق انما يهدف الى سعادة المجتمع وتكامله ، فبالاضافة الى امره بالانفاق أمر ايضاً بالقصد في المأكل والملبس والزينة ، وما ذلك الّا لاجل خلق جوٍّ

---

(١) نهج البلاغة ج ٢ - ص ١٩٠
(٢) نهج البلاغة ج ١ - ص ٢٥٩

متقارب بين الفقراء والاغنياء وتضييق الشقة والفروق الاجتماعية فيما بينهم . وبذلك وحده تموت الاضغان وينتفي الحقد والتباغض ليحل محله الحب والتعاطف ، وحينئذ يسهل التعاون بين جميع افراد المجتمع بما فيه خير الجميع وبما يسهم في الارتفاع والتكامل .

واما في حال العكس ، اي اذا بخل الاغنياء باموالهم ان ينفقوها كما أُمروا ، واذا بالغوا في ماكلهم وملبسهم ولم يتقيدوا بما امروا به من الزهد والقصد ، فان المجتمع قادم الى خراب لا محالة ويصل الى المرحلة التي يصفها الامام بقوله :

- وقد اصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه الّا إدباراً ، ولا الشرُّ الّا اقبالاً ، ولا الشيطان في هلاك الناس الّا طمعاً . فهذا اوان قوِيت عدَّته ، وعمَّت مكيدته وامكنت[1] فريسته .

اضرب بطرفك حيث شئت من الناس ، فهل تُبْصر الّا فقيراً يكابد فقراً او غنياً بدَّل نعمة الله كفراً ، او بخيلاً اتخذ البخل بحقَّ الله وفراً ، او متمرداً كأنَّ باذنه عن سمع المواعظ وقراً[2] .

وبخل الغني انما هو بحقَّ الله الذي وهبه سبحانه للفقراء والمحتاجين ، وهذا ما يزيد شقة الخلاف والعداء بين الفقراء

---

(١) امكنت : اي سهلت .

(٢) نهج البلاغة ج ١ - ص ٢٤٦

والاغنياء ، وحينئذٍ يأخذ الشيطان مداه في شحن ما في الصدور ، وذلك يؤدي بالمجتمع الى ان يعيش افراده في صراع وعداء دائم ، فيتغلغل فيه الشر ويختفي منه الخير ، وتلك تكون النهاية بالنسبة لمثل هذا المجتمع .

ولذلك حثَّ سبحانه على الانفاق بشتى الطرق والوسائل ، ووعد المنفقين العاملين بدعوته ازدياد ما في ايديهم من اموال وتعويضهم ما ينفقونه اضعافاً كثيرة ، هذا في الدنيا ، واما في الآخرة فان نصيبهم الجنة

وقد استفاض نهج البلاغة بكلمات الامام الداعية الى الانفاق والمرغّبة فيه ، وفيما يلي نستعرض بعضاً منها ، يقول عليه السلام :

- من يَعْطِ باليد القصيرة، يُعطَ باليد الطويلة[1] .
- من ايقن بالخلف جاد بالعطية[2] .

فالانفاق اذن - كما يظهر من هذهالكلمات -يزيد في اموال المنفِق ولا ينقصها ، ومما يحث به الامام ايضاً على الانفاق ما يبيِّنه من ان الرزق يستنزل به ، فيقول :

- اذا ملقتم فتاجروا الله بالصَّدقة[3]
- استنزلوا الرزق بالصدقة[4] .

---

(١) نهج البلاغة ج ٢ - ص ١٨٧
(٢) نهج البلاغة ج ٢ - ص ١٧٠
(٣) نهج البلاغة ج ٢ - ص ١٩٣
(٤) نهج البلاغة ج ٢ - ص ١٧٠

فالتاجر الذي يوظف راس ماله انما يهدف الى الربح الذي يزيده وينمّيه ، وخير طريقة لتنميته واضمن وسيلة هي في توظيفه مع الله سُبحانه بان يدفعه الى الفقراء والمحتاجين والله سبحانه يتولّى مهمة اعادته مع نمائه ، فالفقراء انماهم وكلاء الله في القبض عنه . ومهما كان راس المال صغيرا فان الله يقبل توظيفه ، يقول الامام :

- لا تستحِ من اعطاء القليل فان الحرمان اقل منه[1]

ومما يحث به عليه السلام على الانفاق ما يبينه من آثار الانفاق المباشرة على المنفِق ، كقوله عليه السلام :

- الصدقة دواء منجح[2] .

- وصدقة السرّ فانها تكفّر الخطيئة ، وصدقة العلانية فانها تدفع ميتة السوء[3]

وكل ذلك الحث على الانفاق ينطلق من اهميته ومن دوره الاساسي في توحيد المجتمع وتكامله .

---

(١) نهج البلاغة ج ٢ - ص ١٥١
(٢) نهج البلاغة ج ٢ - ص ١٤٠
(٣) نهج البلاغة ج ١ - ص ٢١٦

ب : الجهاد بالانفس

الجهاد بالانفس هو المعنى الشائع من كلمة الجهاد ، وهو المتبادر من هذه اللفظة على اطلاقها عند غالبية المسلمين ، مع انه ليس إلا احد اشكاله ولعلّه لا يكون اهمها . وللتعبير عن هذا المعنى ايضاً تستخدم بدل لفظة الجهاد كلمة : « في سبيل الله » وذلك لتوضيح الهدف والغاية من القتال الذي يقوم به المسلمون ، فهو ليس من اجلَ مصلحة ذاتية او تحقيق مآرب دنيوية ، وانما يُقصد به وجه الله سبحانه ، وكل ما كان في سبيل الله فهو يعني انه من اجل البشرية جمعاء ، في سبيل سعادتها واعطائها فرص تكاملها .

الجهاد : قتال دفاعي .

الانسان ـ كما سبق واوضحنا ـ مفطور على السعي نحو التكامل ، وهو يشعر بأن هذا الهدف لا يتحقق إلاّ بالتطلع نحو المطلق ، وهو ما ترشده اليه فطرته . وهناك امر فطري آخر لدى الانسان وهو دفاعه عن ممتلكاته وجميع ما يشعر بأنه حقٌّ خاص به . والسعي نحو التكامل حق من حقوقه المشروعة ـ كما يدرك بفطرته ـ وهو يدافع عن هذا الحق بكل ما لديه من وسائل ومقدرات حتى لو اضطر لشن حرب ضارية على كل من يقف في طريق تكامله ويحاول منع مسيرته .

والتكامل لا يتم إلاّ عن طريق توحيد البشرية باسرها ، ولذا يرى الانسان ان من حقه الابتداء بقتال من يقف في طريق هذه الوحدة ، وهذا القتال الابتدائي ـ حين نلاحظ الداعي اليه ـ نجد انه

قتال دفاعي في الحقيقة ، لان الداعي اليه الدفاع عن الفطرة المتطلعة الى وحدة الانسانية .

وفي الحقيقة ليس الجهاد الابتدائي وحده جهاد دفاعي ، بل ان الانواع الاخرى من الجهاد في سبيل الله كلها قتال دفاعي ، وهي الجهاد التحريري ، والجهاد الدفاعي والجهاد الداخلي . وانما نصصنا على الجهاد الابتدائي فلان الاشكالات التي يوردها البعض حين يتحدث عن الجهاد في سبيل الله انما تنصب على هذا النوع من الجهاد بشكل خاص اذ يقال : إن الاسلام دين الحرب والسيف والاكراه ، حيث يفرض الدخول في الاسلام واعتناقه بالقوة ، فيجاب عن ذلك بما تقدّم .

ونأتي فيما يلي الى استعراض الانواع الاخرى من الجهاد في سبيل الله لنستوضح كيف تكون قتالاً دفاعياً .

اما الجهاد التحريري : فهو يهدف الى تحرير المستضعفين الواقعين تحت الحكم الظالم . وتحريرهم لا يكون إلا بقتال الحكومات المستبدة ، ولا فرق في ذلك بين كونهم من المسلمين او غيرهم فيما لو استنجدوا بالمسلمين واستعانوا بهم على التخلص من معاناتهم . فرفع يد الظلم عنهم امر واجب على المسلمين لان تحررهم يتيح لهم فرصة التكامل .

وتوضيحه : إن العلاقة التي تحكم الانسان وتقيده تجاه أخيه الانسان هي علاقة اخلاقية في الاساس ، وهي تقوم مقام الحق في هذا المجال ، ومفضلة عليه ، إذ لا تصل النوبة الى تحكيم الحق في هذه العلاقة إلا عندما تكون الاخلاق قد محيت ودثرت تماما من المجتمع . ولذا تظهر ضرورة المحافظة على الاخلاق قدر الامكان

وبشتى الوسائل حيث انها تشكل الرقيب الذاتي والشاهد الذي لا يغيب عن تصرف الانسان تجاه الآخرين ، بخلاف الحق فإنه لا يطال إلا من قامت عليه البينة وثبت الحق عنده .

وافضل مناخ يمكن تهيئته للاخلاق من اجل ازدهارها والمحافظة عليها هو الحرية ، حيث انها تكفل الارادة الشخصية وتتيح للانسان اتخاذ القرارات النابعة عن اختياره وقناعاته .

وبالاخلاق يتكامل الانسان .

وهذا القسم من الجهاد فهو وان كان يبدو ابتدائياً لانه يحصل بمباشرة المسلمين ، ولكنه مع ذلك قتال دفاعي لان الهدف منه الدفاع عن الفطرة التي لو تركت وحريتها وعلى مداها لوحدتهم مع اولئك المظلومين ، فيسهل بالتالي طريق التكامل . وقد شاهدنا كيف كان ذلك سبباً في انتشار الاسلام ، اذ لم يجد المستضعفون في الأرض خيراً من الاسلام ديناً يدخلون فيه بعد ما انتشلهم مما كانوا فيه من معاناة ووقوع تحت الظلم .

اما الجهاد الدفاعي فيجب على كافة المسلمين عندما يدهم العدو بلادهم بهدف الاستيلاء عليها او الاعتداء على الاموال والافراد . وهذا القسم من الجهاد . لا يهدف لأكثر من صد المعتدي وايقافه عند حده . ولن نطيل بالكلام عن هذا القسم إذ ان من الواضح ان دفاع الانسان عن نفسه وارضه وماله حق مشروع له ، ولكن نشير انه لولا الجهاد الدفاعي لاستولى الكفار على بلاد المسلمين وغيروا معالم دينهم وتعاليم شريعتهم ، وواضح ما في ذلك من تبديل للفطرة وانحراف عن مسيرة التكامل . وفي هذا المعنى يقول الامام (ع) :

ـ فمن تركه ـ اي الجهاد الدفاعي ـ رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشملة البلاء . ودُيِّث[1] بالصِّغار والقماءة[2]، وضرب على قلبه بالأَسداد[3]، وأُديل الحق منه[4] بتضييع الجهاد ، وسيم الخَسْفَ[5] ومُنع النصف[6] .

واما الجهاد الداخلي : فهو قتال اهل البغي من المسلمين ، أولئك الذين انحرفوا عن جادة القرآن والشريعة الاسلامية في سبيل ملذاتهم ومصالحهم الشخصية ، وابتغاء تحقيق مآربهم على حساب المسلمين ، فاولئك يجب قتالهم وردهم الى الاسلام وتعاليمه ولكن بعد النصح لهم بذلك . فهم المتسترون بالاسلام ولو تركوا وشأنهم لشوهوا عقيدة المسلمين وفرقوا صفوفهم . فقتالهم واجب لانه كما يقول الامام :

ـ . . . والجهاد عزاً للاسلام[7] .

فبالجهاد يُعز الاسلام . وهذا كاف في جواز الابتداء بقتال اهل

---

(١) ديِّث : اي ذُلِّل .

(٢) القماءة : اي الذل والصغر .

(٣) الاسداد : الحجب التي تحول دون بصيرته والرشاد .

(٤) أديل الحق منه : اي صارت الدولة للحق بدله .

(٥) الخسف : الذل والمشقة .

(٦) نهج البلاغة ج ١ ـ ص ٦٧ ـ ٦٨ .

(٧) نهج البلاغة ج ٢ ـ ص ١٩٤ .

البغي ، وهو ما كان من امر الامام علي مع معاوية واصحابه حيث كان عليه السلام يدعو الى قتالهم بقوله :

ـ ألا واني قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً وسراً واعلاناً . . . [1] .

فجهادهم انما هو في سبيل الحفاظ على العقيدة الداعية الى التكامل ، وفي سبيل وحدة الامة المسلمة التي لا يتم التكامل بدونها .

وقد تبيَّن من هذا العرض الموجز لانواع الجهاد في سبيل الله ، انها تدخل كلها تحت عنوان الجهاد الدفاعي ، وهذا وحده كافٍ لاجازة القتال واعلان الحرب .

فضل الجهاد :

نبرز في هذه الفقرة بعض كلمات الامام التي يبيِّن فيها فضل الجهاد وعاقبة تركه ، وفضل المجاهدين وعاقبة التاركين له . يقول عليه السلام :

ـ ان افضل ما توسَّل به المتوسلون الى الله سبحانه الايمان به وبرسوله والجهاد في سبيله فإنه ذروة الاسلام[2] .

---

(١) نهج البلاغة ج ١ ـ ص ٦٨ .

(٢) نهج البلاغة ج ١ ـ ص ٢١٥ .

فنراه عليه السلام يضع الجهاد في مرتبة مباشرة بعد الايمان بالله ، وذلك ابرازاً لفضله واهميته ، واشارة الى أمر آخر وحاصله : ان هدف الايمان بالله هو ان يتكامل الانسان ، ولا تكامل بدون الجهاد والدعوة الى الله ، فالانسان ليس وحدةً منفصلة مستقلة في ذاتها ليتكامل وحده وبصورة منفصلة عن ابناء جنسه ، بل ان اتحاده معهم امر ضروري لذلك ، وبالجهاد الذي هو ضروري لنشر الايمان بالله يتم توحيد البشرية وبالتالي يتحقق تكامل الانسان .

كما يستفاد من كلام الامام ، ان المسلم يصل بجهاده الى ذروة الاسلام ، إذ ان تضحيته بنفسه في سبيل معتقده ليس بعدها تضحية ، وذلك مؤشر على انه قد بلغ باسلامه وجهاده اعلى درجات الكمال والاعتقاد الناضج الواعي .

ومن اهمية الجهاد جعلت الجنة للمجاهدين والنار للقاعدين عنه . يقول عليه السلام :

- الجنة تحت اطراف العوالي[1] .[2]

ومن خطبة له (ع) :

- اما بعد فإن الجهاد باب من ابواب الجنة فتحه الله لخاصة اوليائه[3] .

---

(١) العوالي : اي الرماح .

(٢) نهج البلاغة ج ١ ـ ص ٢٣٩ .

(٣) نهج البلاغة ج ١ ـ ص ٦٧ .

حتى ان الجهاد جعل من دعائم الايمان . يقول عليه السلام :

ـ الايمان على اربع دعائم : على الصبر واليقين والعدل والجهاد[1] .

بل ان الجهاد لا يكون جهاداً حقاً بدون الدعائم الثلاث الاخرى . فالصبر مطلوب لتحقيق النصر ، واليقين بأحقيَّة ما يقاتل لاجله وبثواب الله سبحانه مطلوب لرفع الروح المعنوية ، والعدل مطلوب حتى لا يكون الجهاد بغياً على الآخرين . واما في حال ترك الجهاد فإن العقاب سيطال التاركين له في الدنيا قبل الآخرة اذ يقول عليه السلام :

ـ وأيم الله لئن فررتم من سيف العاجلة لا تسلموا من سيف الآجلة[2] .

---

(١) نهج البلاغة ج ٢ ـ ص ١٤٣ .

(٢) نهج البلاغة ج ١ ـ ص ٢٣٨ .

ج ـ الجهاد باللسان :

من اشكال جهاد الانسان مع الانسان : الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، او ما عنونّاه بالجهاد باللسان . والحق ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا ينحصر بالقول باللسان فقط ، اذ قد يتعدّاه الى الجهاد بالسيف او يقتصر فيه على الانكار بالقلب ، ولكن الغالب فيه القول باللسان لذلك عُنْوِن به . يقول عليه السلام في بيان مراتب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر :

> ـ فمنهم المنكر للمنكر بيده ولسانه وقلبه ، فذلك المستكمل لخصال الخير. ومنهم المنكر بلسانه وقلبه والتارك بيده ، فذلك متمسِّك بخصلتين من خصال الخير ومضيِّع خَصلة . ومنهم المنكر بقلبه والتارك بيده ولسانه فذلك الذي ضيَّع اشرف الخصلتين من الثلاث وتمسَّك بواحدة . ومنهم تارك لانكار المنكر بلسانه وقلبه ويده فذلك ميِّت الاحياء[1].

فالامر بالمعروف والنهي عن المنكر له ثلاث مراتب . اولها : تغيير المنكر بالقوة ، وهي مفروضة حين لا ينفع القول باللسان ويلجأ البغاة للسيف واستعمال القوة . ثانيها : محاولة تغيير المُنكر بالقول والنصيحة حين يُكتفى بذلك . وثالثها : انكار المنكر بالقلب والوجدان ، وهي وسيلة من لا يجد في نفسه القوة والقدرة على محاولة

---

(١) نهج البلاغة ج ٢ ـ ص ٢٢٥ .

التغيير بالسيف او باللسان ، وهي اقل الدرجتين شرفا ، اذ المرتبتان الاولى والثانية في درجة واحدة من حيث الشرف ، وكل درجة منهما هي الاشرف والافضل حين يكون الموضوع يقتضيها ، فحين يكفي القول باللسان للتغيير يكون هو الافضل وقد لا يُشرع في هذه الصورة استعمال القوة ، وكذلك الامر حين يستدعي الموضوع استعمال القوة وكان الانسان قادراً عليها ، فإن ترك ذلك الى النصح باللسان يكون غير كافٍ .

وربما يلاحظ ، ان الامام يجعل هذه المراتب الثلاث ، للنهي عن المنكر فقط ، ويغفل الامر بالمعروف ـ او هكذا يُتصوّر ـ بينما حديثنا المتقدم يجعل هذه المراتب للامر بالمعروف والنهي عن المنكر معاً . ولذا رأينا وجوب توضيح هذه النقطة .

لكن قبل الشروع في ذلك يجب ان نفهم اولاً المعنى المقصود بالتحديد لكل من : المعروف والمنكر . اما المعروف فهو كل ما وافق كتاب الله وسنة رسوله (ص) واهل بيته . واما المنكر فهو بخلافه ، اي ما خالف الكتاب والسنة . وحينئذٍ ، فكل فعل يصدر عن الانسان لا بدَّ من دخوله ضمن احد الاطارين ، اما اطار الموافقة للكتاب والسنة او اطار المخالفة لهما . وهذا معناه ـ بطبيعة الحال ـ عدم خلوّ الفعل من كونه منكراً او معروفاً . وعندما ينهى الانسان عن المنكر فإن نفس فعله هذا يكون امراً بالمعروف ، وكذلك الحال حين يأمر بالمعروف فإنه يكون ناهياً عن المنكر ، فمراتب النهي عن المنكر التي ذكرها الامام هي في الوقت نفسه مراتبُ للامر بالمعروف .

ويؤيِّد ذلك ما ورد من قول الامام (ع) :

ـ اول ما تُغلبون عليه من الجهاد ، الجهاد بايديكم ثم بالسنتكم ثم بقلوبكم . فمن لم يعرف بقلبه معروفاً ولم ينكر منكراً قُلب فجعل اعلاه اسفله واسفله اعلاه[1] .

فالجهاد المقصود للامام هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما هو واضح وصريح من كلامه عليه السلام ، وهو على ثلاث مراتب هي نفسها التي ذكرها للنهي عن المنكر .

بقي ان نعرف كيف يكون القلب مورداً لانكار المنكر والامر بالمعروف ؟ اما انكار القلب للمنكر فهو يعني بغض فاعله ومجافاته ، واما امره بالمعروف فيتحقق بالتطلع بعين الحب والرضا لفاعله . والى هذا المعنى يشير قوله الامام :

ـ وأمر بالمعروف تكن من اهله . وانكر المنكر بيدك ولسانك وباين[2] من فعله بجهَدك[3] .

فمباينة ومجانبة فاعل المنكر هي معنى الانكار بالقلب ، وقيمتها تظهر في الآثار الاجتماعية الواضحة التي تتركها في المجتمع ، ونفس الامر بالنسبة للتطلع بحب لعامل المعروف .

الآثار الاجتماعية للامر والنهي :

ان للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر آثارهما الاجتماعية البارزة

---

(١) نهج البلاغة ج ٢ ـ ص ٢٢٦ .

(٢) باين : اي باعد وجانب .

(٣) نهج البلاغة ج ٢ ـ ص ٣٩ .

التي تترك بصماتها واضحة على مسيرة التكامل الانساني . ويوضح الامام بعضاً من هذه الآثار في نهجه حيث يقول :

ـ فمن أمر بالمعروف شدَّ ظهور المؤمنين ، ومن نهى عن المنكر ارغمَ انوف المنافقين[1] .

ويقول ايضاً في بيان علة فرض الامر بالمعروف والنهي عن المنكر :

ـ والامر بالمعروف مصلحة للعوام ، والنهي عن المنكر ردعاً للسفهاء[2] .

لقد قدمنا بأن تكامل الانسان لا يكون بغير السعي نحو المطلق الحق الذي هو الله سبحانه ، ولا يعرف الله سبحانه ويحاول جهده التوجّه اليه سوى اهل المعروف لانهم يؤمنون به باخلاص وصدق ، وبالامر بالمعروف يقوى اولئك المؤمنون الذين هم اهل المعروف وبذلك يتم السعي نحو المطلق الذي يحقق التكامل ، لانهم ينشطون ويقوون عندما يعم المعروف المجتمع . كما انه بالنهي عن المنكر ومحاربته يرتدع السفهاء واهل المنكر اذ يجدون دائماً من يتصدّى لهم ويمنعهم من الاستمرار في غيِّهم ، وهذا يعني انحسار المنكر واهله وانقراضهم من المجتمع .

واما في حالْ ترك واجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فماذا تكون النتيجة ؟ يوضح الامام هذا الامر بقوله :

---

(١) نهج البلاغة ج ٢ ـ ص ١٤٤ .

(٢) نهج البلاغة ج ٢ ـ ص ١٩١ .

ـ لا تتركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولّى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم[1] .

النتيجة الطبيعية لترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هي نقصان اهل المعروف باستمرار ، وفي المقابل ازدياد اهل المنكر ـ وهم شرار الامة ـ . اذ لو شاع المنكر بين الناس دون ان يتوفر من يقف في طريقه ويحاول منعه ، لاصبح شيئاً مستأنساً لدى غالبية الناس ولما عاد امراً يستحق الاستنكار والاشمئزاز وحينئذ يتزايد مرتكبوه باطراد حتى يعلو امرهم على اهل المعروف ، لان الكثرة حينئذاك تغلب الفضيلة ، ونتيجة ذلك ان يخرج الامر من ايدي العقلاء واهل المعروف ويصبح شرار الامة قادتها ، اذ فسقهم وبغيهم ـ وقد شاع المنكر ـ لا يعود مستنكراً او مانعاً من توليهم على رقاب الناس واللعب بدمائهم واعراضهم .

والسنة التاريخية هنا تحكم على الامة التي تصل امورها الى هذا الحد بالفناء والبوار ، اذ انها تكون قد استحقّت غضب الله ونقمته ، ويبيّن الامام ذلك بقوله :

ـ فإن الله سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين ايديكم إلّا لتركهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فلعن السفهاء لركوب المعاصي والحلماء لترك التناهي[2] .

---

(١) نهج البلاغة ج ٢ ـ ص ٧٧ .

(٢) نهج البلاغة ج ١ ـ ص ٣٩١ .

فالجميع استحقوا اللعنة والعذاب لانهم في الذنب سواء ، اما المرتكبون للمنكر فاستحقاقهم لذلك واضح ، واما سائر الناس فلانهم تركوهم وشأنهم دون ان يحاولوا ردعهم عن الاستمرار في غيّهم وفسقهم ، فكانوا شركاء لهم وبذلك اصبحت الامة باسرها مشتركة في ارتكاب المنكر ومستحقة للعقاب .

المنكر : واثره على تكامل الانسان :

اذا اردنا ان نقسّم الناس ـ كل الناس ـ على حسب موقفهم من المنكر لوجدناهم على خمسة اقسام :

١ ـ منكر بيده ولسانه وقلبه .
٢ ـ منكر بلسانه وقلبه .
٣ ـ منكر بقلبه فقط .

وقد اوردنا في اول الفصل نصّ الامام الذي يتحدث عن هذه الاقسام .

٤ ـ تارك لانكار المنكر بأي نحو من الانحاء .
٥ ـ مرتكب المنكر .

وفيما يلي نحاول ان نبحث في الاثر الذي يخلفه كل قسم من هذه الاقسام على مسيرة التكامل الذي هو الهدف من وجود الانسان .

اما مرتكب المنكر فإن اثره السلبي يظهر واضحاً على مسيرة التكامل ، اذ انه بفعله الاجرامي هذا يشوّه فطرته ويجعلها غير قابلة

وغير قادرة على الاخذ بزمام قياده وايصاله الى هدفه المنشود ، لان الفطرة ـ كما ذكرنا ـ تنحرف عن خطها بالذنوب والآثام ، وقد فرضت العبادات لتعيدها اليه . وقعود الفطرة عن القيام بمهامها في قيادة هذا الانسان ـ فاعل المنكر ـ يعني خسارة المجتمع لعنصر من عناصره كان ليساعده في تخطي العقبات التي تقف في طريق تكامله .

واما التارك لانكار المنكر بأي نحو من الانحاء فيقول فيه الامام :

ـ تارك لانكار المنكر بلسانه وقلبه ويده ، فذلك ميت الاحياء[1] .

يصف الامام هذا القسم بأنه ميت الاحياء ، اي ان حياته وموته سواء بالنسبة للمجتمع ، لان الهدف من وجوده اساساً هو التكامل ، فإذا قعد الانسان عن السعي نحو تحقيق هذا الهدف فإن حياته وموته يصبحان سواء .

واما المِنكر للمنكر باقسامه الثلاثة ، فدوره اشرف الادوار واهمها في مسيرة الانسان التكاملية ، اذ انه يحاوله ان يلغي من الوجود كل ما يقف في طريقها ، والمنكَر هو اخطر ما يعترض هذه المسيرة ، وبمحو المنكر وضمّ من كان يرتكبه من معترض لطريق المسيرة الى مؤيد ومساهم فيها ، تكبر فرص التكامل ويهون امره .

وبذلك نرى ان الناهي عن المنكر ـ باقسامه الثلاثة ـ هو وحده

---

(١) نهج البلاغة ج ٢ ـ ص ٢٢٥ .

الذي يحقق للامة تكاملها ، ذا انه لا يصل الى مرتبة نهي الآخرين الا بعد ان يكون قد احرز في نفسه التناهي ، وإلّا فلا فائدة من نهيه لو كان هو نفسه لا يتناهى . يقول عليه السلام :

ـ وانهوا عن المنكر وتناهوا عنه ، فانما امرتم بالنهي بعد التناهي[1]

بل لعل حالهم يكون اشر من التاركين للنهي ، وذلك انهم عرفوا فضيلة المعروف ولكنهم تركوه ، وعرفوا مغبة المنكر ثم ارتكبوه .

واخيرا ، فمن خلال فهم الامام الواعي لاهمية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقد اولى العمل بهما اهتمامه وكثر حثه الناس لكي يقوموا بواجبهم في الامر والنهي ، فكان من جملة ما قاله ترغيباً :

ـ وما اعمال البر كلها والجهاد في سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا كنفثه في بحر لجيّ وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من اجل ولا ينقصان من رزق . وافضل من ذلك كله ، كلمه حق عند سلطان جائر[2] .

وليس هناك سبيل للحث على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

---

(١) نهج البلاغة ج ١ ـ ص ٢٤٧ .

(٢) نهج البلاغة ج ٢ ـ ص ٢٢٥ .

اكثر من جعلهما جهادا بالسيف في سبيل الله تعالى . واكثر من تفضيلهما على جميع اعمال الاحسان والخير . ويلاحظ الامام في كلامه نقطة هامة قد تجعل الكثيرين يضعفون عن تأدية هذا الواجب . وهي : ان الانسان قد يرى منكراً يرتكب من جماعة من الناس ويكون فيهم من هو ولي لنعمته ، فلو حاول امره ونهيه لسبب لنفسه زوال النعمة التي كان ذلك مصدرها ، او قد يكون فيهم المتسلط القادر على رقبة هذا الانسان ، ولربما ادى امره ونهيه الى حدوث مكروه له هو في غنى عنه . وكل ذلك مما يجعل البعض يضعف عن القيام بواجبه من الامر والنهي ، لأنه يرى فيه هلاكه او على الاقل زوال نعمته وهو ليس مستعدا للمخاطرة .

ولمثل هذا الانسان اورد الامام كلمته حيث بيّن ان لا خوف على الرزق لأنه من عند الله ، ولا خوف من التعرض للهلاك لأن الآجال بيد الله ، واذا ما اطمأن الانسان على رزقه وحياته فلا يبقى اي حائل امامه يمنعه من القيام بواجبه . وقد اكد الامام هذا المعنى بقوله في موضع آخر :

> ـ وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لخلقان من خلق الله سبحانه ، وانهما لا يقربان من اجل ولا ينقصان من رزق[1] .

وقبل ان نختم حديثنا في هذا الفصل يجب ان نشير الى ان

---

(١) نهج البلاغة ج ١ ـ ص ٢٨٣ .

الجهاد الداخلي ، ـ الذي هـو من اشكال الجهـاد بالسيف في سبيـل الله ـ والذي فسرناه بقتال اهـل البغي ، هو نفسـه ايضاً من اقسـام الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

وقد عبَّر عنه عليه السلام بانه تغيير المنكر باليد ، وانما ذكرناه في الموضعين لمناسبته لكل منهما ، فهو من حيث اعتماده على السيف يدخل تحت اشكـال الجهاد في سبيـل الله ، ومن حيث هدفـه الذي يـرمي الى نشر المعـروف ومحو البغي والمنكـر فانـه يناسب جعله من اقسام الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الفصل الرابع
جهاد الانسان مع الطبيعة

علة خلق الطبيعة :

خلق الله الانسان وجعله نامياً محتاجاً الى الغذاء بشكل دائم ليحافظ على حياته واستمرار وجوده ، وقد جعل سبحانه الطبيعة مصدر رزقه فسخرها له . ويبيّن الامام ذلك بقوله :

> ـ الا وان الارض التي تحملكم والسماء التي تضلكم مطيعتان لربّكم ، وما اصبحتا تجودان لكم ببركتهما توجعاً لكم ولا زلفة اليكم ولا لخير ترجوانه منكم ، ولكن أمرتا بمنافعكم فاطاعتا واقيمتا على حدود مصالحكم فقامتا[1]

فالطبيعة تستطيع الاستغناء كليّة عن الانسان ، وهي مستغنية عنه بالفعل ، انما الانسان لا يستطيع البقاء لحظة واحدة دونها ، فالمصالح بين الانسان والطبيعة ليست مشتركة والخدمات ليست متبادلة ، اذ الطبيعة تجود بكل ما عندها للانسان دون ان تنتظر منه

---

(١) نهج البلاغة ج ١ ـ ص ٢٦٠ .

اي مقابل لذلك ودون ان يكون مضغوطاً عليها من قبله لتكـون في خدمته مكرهة ومجبرة ، بل كل ما هنالك ان الله سبحانه قـد امرهـا بالانقياد له فانقادت واطاعت .

ونستعرض فيما يلي كيف وضعت الطبيعـة في خدمـة الانـسان سيدها ، وذلك من خلال نهج البلاغة بالطبع .

اما الارض فقد هيأها سبحانه لتكون له سكناً صالحـاً يسهل عيشه عليها ، يقول عليه السلام في ذلك :

ـ فسبحـان من امسكها بعـد موجـان مياهـا واجمَدَها بعد رطوبة اكنافها ، فجعلها لخلقـه مهاداً وبسطها لهم فراشاً[1] .

فالامام يستعمل لفظ المهاد والفراش للتعبير عن الرفاهية التي جعلت لـلانسان عـلى هذه الارض ، فهي قـد مرّت بـاطوار وادوار مختلفة استغرقت سنين طويلة لتكون في النهاية مؤهلة وصالحة لسكن الانسان وتامين معيشته ، ولن نتكلم الآن عن هذه الادوار وإن كان الامـام قد فصّلهـا في نهجه اذ ان ذلـك يخـرج بنـا عن الهـدف من الكتاب .

ومن تدبيره سبحـانه ان خلق الجبـال وجعلها راسيـة لتضمن استقرار الارض وعدم ميدانها والاّ لأودت بالانسـان وأفنته . يقـول عليه السلام :

---

(١) نهج البلاغة ج ١ ـ ص ٤٢٨ .

ـ وجَبَل[1] جلاميدها[2] ونشوز[3] مُتونها[4] واطوادها[5] ، فارساها مراسيها والزمها قرارتها فمضَت رؤ وسُهـا في الهـواء ورست اصـولها في الماء . . . فجعلها للارض عماداً وارّزها فيها اوتاداً فسكنت على حركتها من ان تميد باهلها او تسيخ[6] بحملها او تزول عن مواضعها[7] .

فالجبال هي الضمان لاستقرار الارض لتحافظ على الانسان وعلى استمرار وجوده عليها .

وصلاحية الارض لعيش الانسان اهم ما يشترط فيها تأمين الغذاء التام له والمتكفل معيشته ، وقد جعلها سبحانه كذلك ، يقول الامام :

ـ اخـرَج من هوامـد الارض[8] النبات ومن زُعُـر [9] الجبـال الاعشـاب . . . وجعـل ذلـك

---

(١) جَبَل : اي خلق .
(٢) الجلاميد : الصخور الصلبة .
(٣) النشوز : ما ارتفع من الارض .
(٤) المتون : ما صلب من الارض وارتفع .
(٥) الاطواد : الناتئات .
(٦) اي تغوص وتنخسف .
(٧) نهج البلاغة ج ١ ـ ص ٤٢٧ .
(٨) هوامد الارض : ما لم يكن بها نبات .
(٩) الزُعُر : المواضع القليلة النبات .

بلاغاً[1] للأنام ورزقاً للانعام[2] .

واجرى سبحانه الانهار لتسقي نبات الارض فيستمر في اخضراره وفي تزويد الانسان ما يحتاجه لاجل معيشته ، واما ها لا تبلغه الانهار من المناطق واعالي الجبال فقد سخر لهسبحانه السحاب ليسقيه ويرويه ، فيخرج نباته غذاء للانسان والانعام ، وبهذا يقول عليه السلام :

- ثم لم يدَع جُرُزَ الأرض[3] التي تقصُرُ مياه العيون عن روابيها[4] ولا تجد جداول الانهار ذريعة[5] الى بلوغها حتى انشأ لها ناشئة سحابٍ تُحيي مواتها وتستخرج نباتها[6] .

فالارض خلقت اساساً لتكون سكناً للانسان ومصدراً لقوته ، وقد هيأها سبحانه لتكون باكملها صالحة لهذه الغاية ، وحيثما اختار الانسان لنفسه مكاناً منها فانه يستطيع المقاومة والبقاء حتى في اعالي الجبال .

وكما لا يعيش الانسان بدون غذاء فكذلك لا يستطيع البقاء دون

---

(١) البلاغ : ما يتبلغ به من القوت .

(٢) نهج البلاغة ج ١ - ص ١٧٦ .

(٣) جرز الارض : اي التي تمر عليها مياه العيون .

(٤) الروابي : المرتفعات .

(٥) ذريعة : اي وسيلة .

(٦) نهج البلاغة ج ١ - ص ١٧٥ .

اهواء الدي يتنفسه ، بل ان النبات الذى هو الغذاء الرئيسي له ما كانت الارض لتخرجه لولا مساندة الهواء ، وقد خلقه سبحانه ،

ـ واعدَّ الهواء متنسَّماً لساكنها[1] .

وكان لا بدَّ لأجل انبات النبات وراحة الانسان من خلق الشمس والقمر وتعاقب الليل والنهار ، وهو ما هيّأه سبحانه ايضاً :

ـ وجعل شمسها آية مبصرة[2] لنهارها ، وقمرها آية ممحوة من ليلها[3] ، فاجراهما في مناقل مجراهما ، وقدَّر سيرهما في مدارج دَرَجِهما ، ليميّز بين الليل والنهار بهما ، وليعلم عدد السنين والحساب بمقاديرهما[4] .

وبعد ان هيّأ سبحانه السكن الصالح للانسان ، وجعله متكاملاً من جميع نواحيه وملبياً لكل احتياجاته ، من الارض المنبسطة كالمهاد ، الى الجبال الراسية كالاوتاد الى النبات المتكفل بمعيشته وتأمين رزقه ، الى الماء المسخَّر لانباته ، الى الشمس والقمر وتعاقب الليل والنهار ، بعد خلق هذا كله وسواه مما هو ضروري واساسي لبقاء الانسان ، خلق سبحانه الانسان وجعله سيداً على كل ما خلق .

---

(١) نهج البلاغة ج ١ ـ ص ١٧٥ .

(٢) مبصرة : اي يبصر بضوئها مدة النهار كله .

(٣) اي ان ضوءها يمحي بعضاً من الليل في اوقات محددة من الشهر ، وفي اوقات اخرى منه يمحي الليل باكمله .

(٤) نهج البلاغة ج ١ ـ ص ١٦٧ .

يقول الامام موضحاً لذلك :

ـ واخـرج الـيهـا اهـلهـا عـلى تمـام مرافقها [1][2] .

ـ فلما مهد ارضه وانفذ امره اختـار آدم عليه السلام خيرة من خـلقـه[3] .

تحكّم الانسان بالطبيعة :

ولقد منح سبحانه الانسان الفكر ليستنير به ويستطيع بواسطته التحكم بتلك المخلوقـات والاستفادة منهـا الى اقصى مدى ممكن . فالشمس والقمر مثلاً عرفنا بعض فوائدها ، وسواء اكتشف الانسان ذلك ام لا فهما تؤدّيان واجباتهما على اكمل وجه ، ولكن بواسطة الفكرالذي وهبه سبحانه للانسان فانه يستطيع ايجاد مجالات اخرى للاستفادة منهما كوضع التقاويم ومعرفة الحساب والسنين .

وعندما نقول ان الله سبحانه قد وضع كل مـا في الطبيعـة في خدمة الانسان ، فهذا لا يعني سهولة انقيادها له ، بل لا بدّ له من الجهاد الدائم والكفاح المستمر معهـا لتطويعهـا وتسخيرهـا في قضاء مآربه وغاياته ، والاّ فانها تستعصي عليه ولا تلبّي شيئاً من حاجاته .

---

(١) المرافق : ما يستعان به على العيش والسكن .

(٢) نهج البلاغة ج ١ ـ ص ١٧٥ .

(٣) نهج البلاغة ج ١ ـ ص ١٧٧ .

والانسان لا يستطيع تحقيق ذلك دون ان يبذل اقصى طاقاته ويستخدم كافة مقدراته الجسدية والفكرية التي وهبها الله له ، ولذلك ورد الحث الشديد من الامام على تحصيل العلم وعلى العمل ، وتسخير العلم في مجال العمل .

وبالاضافة الى كون الطبيعة ضامنة لمعيشة الانسان ومتكلفة بحاجاته الجسدية من الغذاء والمأوى ، فقد جعلها سبحانه في الوقت نفسه قائمة بحاجاته النفسية والروحية .

فلكي لا يبقى الانسان حيراناً يتيه في ظلمات الجهل والحيرة ، كانت مخلوقات الله كلها آيات تدل عليه وتشير اليه لتشبع حاجات الانسان وتطلعاته ، فعرف بواسطتها خالقه واستدل بها على المطلق الذي يجب عليه السعي نحوه ، فكان سبحانه كما يقول الامام :

ـ المتجلي لخلقه بخلقه والظاهر لقلوبهم بحجته[1]

ـ فصار كل ما خلق حجة له ودليلاً عليه[2] .

ومعرفة المطلق الذي يجب على الانسان السعي نحوه هي اولى خطوات التكامل الحقيقية ، وكل ما في الطبيعة من مخلوقات قد جُعلت لتدل عليه وتشير اليه .

---

(١) نهج البلاغة ج ١ ـ ص ٢٠٦ .

(٢) نهج البلاغة ج ١ ـ ص ١٦٤ .

والله سبحانه عندما امر الطبيعة ان تكون في خدمة الانسان ، فانه امرها ايضاً ان تمتنع عنه لبعض الاسباب كالتي يذكرها الامام بقوله :

ـ ان الله يبتلي عباده عند الاعمال السيئة بنقص الثمرات وحبس البركات واغلاق خزائن الخيرات ، ليتوب تائب ويقلع مقلع ويتذكر متذكر ويزدجر مزدجر[1] .

فالطبيعة أُمرت لتمنع خيراتها عن الانسان حين ينغمس في الرذيلة والشهوات وينسى الله ، فتجعله يحس بصغر نفسه وحقارة جاهه وسرعان ما يلتجىء الى الله سبحانه الذي لا ملجأ سواه في مثل هذه الحال ، والالتجاء اليه لا يكون بغير التوبة الصادقة وبغير الاقلاع عن المعاصي والازدجار عند النواهي .

وهذه ايضاً خدمة جليلة تؤديها الطبيعة للانسان ، فبامتناعها عنه لتذكره بالله سبحانه تكون كالآمرة له بالمعروف الناهية عن المنكر والشرور .

---

(١) نهج البلاغة ج ١ ـ ص ٢٦٠ .

خاتمة :

قدمنا في بداية بحثنا ، ان اشكال جهاد الانسان ليست مستقلة ومنفصلة عن بعضها البعض ، بل انها متـرابطة وتتبـادل التأثـير فيما بينها في كثير من الموارد ، وفيما يلي نحاول تتبُّع وتسجيل بعضاً منها .

المورد الاول :

ونظهر فيه العلاقة والتأثير المتبادل بين جهاد الانسان مع الانسان ، وجهاد الانسان مع الطبيعة .

ولنبدأ أولاً بتأثير جهاد الانسان مع الطبيعة على جهاد الانسان مع الانسان . ويظهر هذا الأثر من خلال فهمنا للهدف الاساسي من الجهاد مع الطبيعة ، هذا الهدف يتمثل في محاولة تسخير الطبيعة وتطويعها ليسهل قيادها على الانسان وبالتالي ليتمكن من تحصيل معاشه منها بمقدار اوفر وبسهولة اكبر .

ولكن هذا الهدف السامي كانت له احياناً اثاره السيئة على علاقة الانسان بالانسان ، حيث ان الوسائل المنتجة للحاجات البشرية قد تطورت ونمت نتيجة السعي الانساني المستمر الهادف لذلك ، مما جعل الانتاج اسهل واوفر لدرجة ان اصبح زائداً عن حاجات البشر ، وهذا ما هيَّأ للبعض فرصة استغلال الفائض لتسخير الآخرين من ابناء جنسه واستخدامهم في سبيل تحقيق مصالحه ومآربه الشخصية . وبذلك اخذت العلاقة بين الانسان والانسان الواناً واشكالا اخرى تختلف عما كانت عليه قبل حصول الفائض ، فبعد ان كانت تتمثّل بالتعاون والتعاطف من اجل تطويع الطبيعة واكتساب المعاش منها ، تحولت هذه العلاقة الى شكل العداء والمحاربة : بين الانسان الغني والقوي الذي يملك فائض الانتاج والوسائل المنتجة له ـ والمبتعد عن خط الفطرة ـ، وبين الانسان الفقير والضعيف الفاقد لكل ذلك .

وهذه العلاقة الجديدة كانت تؤدي احياناً الى ثورات اجتماعية نقوم بها الفئات الفقيرة على الغنية ، وواضح ما يلي ذلك من اراقة دماء واتلاف خيرات كان من الممكن ان يتمتع بها الجميع لو انهم تمسكوا بالفطرة التي فطرهم الله عليها .

واما تأثير جهاد الانسان مع الانسان على جهاد الانسان مع الطبيعة ، فان هذا الجهاد تارة يأخذ شكل التعاون والتعاطف ، واخرى شكل العداء والمحاربة . اما في حال اتخاذ العلاقة الانسانية الشكل الاول فان ذلك يوحّد الجامعة البشرية ويجعلها متعاونة متكاتفة في سبيل هدف واحد يتمثل باسعاد المجتمع ككل وطلب الخير والرخاء للجميع ، عن طريق تأمين كل الاحتياجات من مصدرها الرئيسي وهو الطبيعة . والطبيعة تلبّي جميع الاحتياجات لكل الناس . اذ ان الله سبحانه قد أمرها بذلك ، ولكن تطويعها يحتاج الى تظافر الجهود الانسانية واتحادها ، فاذا ما ترجمت هذه الجهود اعطت الطبيعة خيراتها ووهبتها بسخاء بعد ان استحقها الانسان عن جدارة .

واما في حال اتخاذ العلاقة بين الانسان والانسان شكل العداء والمحاربة ، فان فرص السيطرة على الطبيعة تصبح اقل واصعب ، اذ ان محاربة انسان لانسان تعني محاولة تدمير جميع مؤهلاته وامكانياته ، وما يُبنى في سنوات لا يحتاج تدميره لاكثر من لحظات ، وبذلك تراوح الجهود الانسانية مكانها ، وتبقى الطبيعة مستعصية على الانسان لا تسخو عليه الا بالشيء القليل الذي لا يزيد عن حاجاته الاساسية ، والتي لا حياة له دون تلبيتها ، هذا مع المعاناة والجهد في سبيل تحصيلها .

المورد الثاني :

ونحاول ان نبحث فيه عن التأثير المتبادل بين جهاد الانسان مع نفسه وجهاده مع الآخرين من بني جنسه .

ونتناول أولاً جهاد الانسان مع نفسه والاثار التي يتركها على جهاده مع الآخرين ، فنقول : ان جهاد الانسان مع نفسه يستهدف تزكيتها وتطهيرها والارتفاع بها عن الغرائز والشهوات الدنيوية وذلك عن طريق تطلعها نحو المطلق ، فيروّض الانسان نفسه بجهادها ويقضي على الغرائز والعواطف المتحكمة فيه ولا يترك لها مجال العبث فيه وتسييره حسبما ارادت ورغبت ، بل انه يحكّم عقله ويفسح له مجال تسييره وقيادته ، والعقل ـ الذي ما يزال محافظاً على الاتجاه الذي فطره الله عليه ـ يتحكّم بالغرائز ويأمر دائما بالسير نحو المطلق الذي تفرضه الفطرة الصافية التي لم تتدنس ولم تتشوه بالاهواء والنزوات ، ولم تخضع لنداء العاطفة ، ولذلك نرى الامام يأمر بالرجوع الى العقل وتحكيمه اذ يقول :

ـ العقل حسام قاطع فقاتل هواك بعقلك[1] .

فالعقل له مجاله وكذلك العاطفة ، ولا يصح ان نلغي احدهما لحساب الآخر ، اذ لكل منهما دوره الذي لا يقوم به غيره ، وله خدمات يؤديها للآخر . وقد سبق وذكرنا ان العاطفة هي من المراحل التي لا بدّ منها لصنع القرار في داخل الانسان .

---

(١) نهج البلاغة ج ٢ ـ ص ٢٣٥ .

وكلام الامام اذ يذكر ان العقل يجب ان يكون في صراع مع العاطفة ، فهو لا يعني ان العاطفة يجب ان يُلغى دورها ليحل العقل محلها ، بل المقصود ان تكون العاطفة مستمدة ميلها من العقل وحده ، اي ان تكون عواطف الانسان واهواؤه خاضعة لعقله وليس العكس .

والعقل المتغلب على الغرائز والمسيطر عليها هو العقل الديني وحده ، الذي لا يملكه الا من استكمل جهاده مع نفسه ، وهذا العقل يحكم على علاقة الانسان مع الانسان ويوجّهها الى مافيه سعادة الجميع وخيرهم ، بدل ان تتخذ هذه العلاقة شكل العداء والمحاربة ، وقد تبين من ذلك كيف يؤثر جهاد الانسان مع نفسه على جهاده مع الآخرين ، اذ انه يجعله في خدمة الكل بدل محاولة السيطرة عليهم والتحكم فيهم .

واما جهاد الانسان مع الانسان وتأثيره على جهاد الانسان مع نفسه فهو يتمثّل في ان هذا النوع من الجهاد حين يتخذ شكل المحاربة بالسيف فهو يهدف الى تحرير البشرية من كافة الضغوطات المفروضة عليها ، واذا ما تمَّ هذا الهدف فنستطيع حينئذٍ ان نأمل من هذا الانسان السعي نحو التكامل والتطلع نحو المطلق ، والا فمع وجود القيود التي تتحكم بجميع تصرفاته وتراقب كل حركاته وسكناته فكيف يمكن التكامل حينئذٍ ؟

المورد الثالث :

جهاد الانسان مع الانسان ، وجهاد الانسان مع نفسه ، والتأثير المتبادل بينهما . اما تأثير الشكل الاول على الثاني فيبرز في انه يهدف دائما الى تحرير الانسان . داخله وخارجه من كافة القيود والضغوطات ليكون له حرية الاختيار وتتاح له فرصة التكامل ، وذلك يؤدي الى الوحدة بين البشر . وقد سبق وقلنا ان البشرية اذا توحّدت فان فُرص تكاملها تصبح اكبر ، اذاً فجهاد الانسان مع الانسان يجعل الفرصة متاحة بشكل اشد امام الانسان المجاهد لنفسه ليتوصل الى الهدف من جهاده والمتمثل بالتكامل .

واما جهاد الانسان مع نفسه فتبرز اثاره واضحة على جهاد الانسان مع الانسان وذلك ان الانسان المجاهد لنفسه لا يخضع لعواطفه وغرائزه ولا يدع لها مجال التحكم به ، وهذا يعني قلع جذور الرغبة في التسلط على الآخرين من نفسه ، بل انه يرغب ـ في قرارة نفسه ـ في ان ينال كل انسان حقه وحريته يسعى هو الآخر في سبيل تكامله ، وبذلك يأخذ جهاده مع الآخرين شكل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في محاولة اكيدة للأخذ بيد الآخرين ومساندتهم في مسيرتهم التكاملية .

الفهرس الموضوعي
لكلمات نهج البلاغة الواردة في هذا الكتاب

الفصل الاول
جهاد الانسان نحو الله

الانسان والمثل الاعلى :

ـ تدركه القلـوب بحقائق الايمان . ج ١ ـ ص ٣٣٤ .

ـ تتلقاه الاذهان لا بمشاعرة وتشهد له المرائي لا بمحاضرة . ج ١ـ ص ٣٥٠

ـ فان الله سبحانه لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سدى ولم يدعكم في جهالة ولا عمى . ج ١ ـ ص ١٤٩ .

ـ اللهم اليـك افضت القلوب ، ومـدّت الاعنـاق وشخصت الابصار ونقلت الاقدام وانضيت الابدان . ج ٢ ـ ص ١٥ .

التكامل بالجهاد نحو الله :

ـ غنى كل فقير وعزّ كل ذليـل وقوة كـل ضعيف ومفزع كـل ملهوف . ج ١ـ ص ٢٠٩ .

ـ الاحد لا بتأويل عدد ، والخـالق لا بمعنى حركـة ونصب ، والسميع لا باداة، والبصير لا بتفريق آلة ، والشاهد لا بحـاسـة ،

والبائن لا بتراخي مسافة ، والظاهر لا برؤية والباطن لا بلطافة ج ١ـ ص ٢٧٥

ـ قريب من الاشياء غير ملامس ، بعيد منها غير مباين ، متكلم لا بروية ، مريد لا بهمّة ، صانع لا بجارحة ، لطيف لا يوصف بالخفاء ، كبير لا يوصف بالجفاء ، بصير لا يوصف بالحاسة ، رحيم لا يوصف بالرقة. ج ١ ـص ٣٣٤.

ـ واحد لا بعدد ، ودائم لا بامد وقائم لا بعمد . . . ليس بذي كِبَر امتدّت به النهايات فكبّرته تجسيماً ، ولا بذي عِظَم تناهت به الغايات فعظمته تجسيداً ، بل كَبُر شأناً وعظُم سلطاناً . ج ١ـ ص ٣٥٠ .

ـ فاعل لا باضطراب آلة ، مقدِّر لا تجول فكرة ، غني لا باستفادة . ج ١ ـ ص ٣٥٤

ـ يخبر لا بلسان ولهوات ، ويسمع لا بخروق وادوات ، يقول ولا يلفظ ويحفظ ولا يتحفظ ويريد ولا يضمر . يحب ويرضى من غير رقّة ، ويبغض ويغضب من غير مشقّة . يقول لمن اراد كونه كن فيكون ، لا بصوت يقرع ولا بنداء يُسمع . ج ١ـ ص ٣٥٧ .

ـ العالم بلا اكتساب ولا ازدياد ولا علم مستفاد . المقدر لجميع الامور بلا روية ولا ضمير . . . ليس ادراكه بالابصار ولا علمه بالاخبار . ج ١ ـ ص ٤٢٩ .

الفصل الثاني

جهاد الانسان مع نفسه

- ولا عبادة كاداء الفرائض . ج ٢ - ص ١٦٣ .

- اذا اضرت النوافل بالفرائض فارفضوها . ج ٢ - ص ٢٠٤ .

العبادة والسعي نحو المطلق :

- ان افضل ما توسَّل به المتوسّلون الى الله سبحانه الايمان به وبرسوله والجهاد في سبيله فانه ذروة الاسلام ، وكلمة الاخلاص فانها الفطرة ، واقام الصلاة فانها الملة ، وايتاء الزكاة فانها فريضة واجبة ، وصوم شهر رمضان فانه جنة من العقاب ، وحج البيت واعتماره فانهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنب ، وصلة الرحم فانها مثراة في المال ومنسأة في الاجل ، وصدقة السرِّ فانها تكفّر الخطيئة ، وصدقة العلانية فانها تدفع ميتة السوء ، وصنائع المعروف فانها تقي مصارع الهوان . ج ١ - ص ٢١٥ .

- وعن ذلك ماحرس الله عباده المؤمنين بالصلوات والزكوات ومجاهدة الصيام في الايام المفروضات تسكيناً لاطرافهم وتخشيعاً لابصارهم وتذليلاً لنفوسهم وتخفيضاً لقلوبهم . ج ١ - ص ٣٨٤

الصلاة عمود الدين :

- إن افضل ما توسَّل به المتوسلون الى الله سبحانه . . . إقامُ الصلاة فانها الملة . ج ١ - ص ٢١٥ .

ـ تعاهدوا امر الصلاة وحافظوا عليها واستكثروا منها وتقرّبوا بها ، فإنها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً . ألا تسمعون الى جواب اهل النار حين سئلوا « ما سلككم في سقر ؟ قالوا : لم نك من المصلين » وانها لتَحُتُّ الذنوب حتّ الورق وتطلقها اطلاق الربق . وشبهها رسول الله (ص) بالحَمَّة تكون على باب الرجل فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات فما عسى ان يبقى عليه من الدرن . ج ١ ـ ص ٤١٣ .

ـ والله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم . ج ٢ ـ ص ٧٦ .

ـ واعلم ان كل شيء من عملك تبع لصلاتك . ج ٢ ـ ص ٢٩ .

ـ ما اهمّني ذنب امهلت بعده حتى اصلي ركعتين واسأل الله العافية . ج ٢ ـ ص ٢٠٨ .

ـ اذهاباً للخيلاء عنهم ، لما في ذلك من تعفير عتاق الوجوه بالتراب تواضعاً ، والتصاق كرائم الجوارح بالارض تصاغراً . ج ٢ ـ ص ٣٨٤ .

ـ فرض الله . . . الصلاة تنزيهاً عن الكِبَر . ج ٢ ـ ١٩١ .

ـ ولا وحدة اوحش من التكبُّر . ج ٢ ـ ص ١٦٢ .

ـ صلِّ الصلاة لوقتها الموقّت لها ولا تعجل وقتها لغراغ ولا تؤخِّرها عن وقتها لاشتغال . ج ٢ ـ ص ٢٩ .

ـ ولا تسافر في يوم جمعة حتى تشهد الصلاة إلّا فاصلاً في سبيل الله او في امر تُعذر به . ج ٢ ـ ص ١٣٠ .

الصيام زكاة البدن :

ـ وصوم شهر رمضان فانه جنّة من العقاب . ج ١ ـ ص ٢١٥

ـ ولكل شيء زكاة ، وزكاة البدن الصيام . ج ٢ـ ص ١٧٠ .

ومجاهدة الصيام في الايام المفروضات تسكيناً لاطرافهم وتخشيعاً لابصارهم وتذليلاً لنفوسهم وتخفيضاً لقلوبهم واذهاباً للخيلاء عنهم ، لما في ذلك من . لحوق البطن بالمتون من الصيام تذللاً . ج ١ـ ص ٣٨٤ .

ـ والصيام ابتلاءً لاخلاص الخلق . ج ٢ ـ ص ١٩١

الحج جهاد الضعفاء :

ـ ان الله سبحانه اختبر الأولين من لَدُن آدم صلوات الله عليه الى الآخرين من هذا العالم باحجار لا تضرُّ ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع ، فجعلها بيته الحرام الذي جعله للناس قياماً ، ثم وضعه بأوعر بقاع الارض حجراً واقل نتائق الارض مَدَراً ، واضيق بطون الاودية قُطراً ، بين جبال خشنة ورمال دمثة ، وعيون وشلة ، وقرى منقطعة ، لا يزكو بها خفٌّ ولا حافر ولا ظلف . ج ١ـ ص ٣٨١ .

ـ ثم امر ـ سبحانه ـ آدم وولده ان يثنوا اعطافهم نحوه ، فصار مثابة لمنتجع اسفارهم وغاية لملقى رحالهم تهوى اليه ثمار الافئدة من مفاوز قفار سحيقة ومهاوي فجاج عميقة وجزائر بحار منقطعة ، حتى يهزّوا مناكبهم ذللاً يُهلّون حوله ، ويرملون على اقدامهم شعثاً غبراً

له ، قد نبذوا السرابيل وراء ظهورهم وشوّهوا باعفاء الشعور محاسن خلقهم ، ابتلاءً عظيماً وامتحاناً شديداً واختباراً مبيناً وتمحيصاً بليغاً جعله الله سبباً لرحمته ووصلة الى جنّته . ج ١- ص ٣٨٣ .

- ولو اراد الله سبحانه ان يضع بيته الحرام ومشاعره العظام بين جنات وانهار وسهل وقرار ، جمّ الاشجار داني الثمار ، ملتفّ البُنا متّصل القرى ، بين برّة سمراء وروضة خضراء وارياف محدقة وعِراص مغدقة ورياض ناضرة وطرق عامرة ، لكان قد صَغر قدر الجزاء على حَسَب ضعف البلاء .

ولو كان الاساس المحمول عليها والاحجار المرفوع بها بين زمردة خضراء وياقوتة حمراء ونور وضياء لخفّف ذلك مسارعة الشك في الصدور ولوضع مجاهدة ابليس عن القلوب ولنفى معتلج الريب سن الناس . ج ١- ص ٣٨٢ .

- ولكن الله يختبر عباده بانواع الشدائد ويتعبدهم بانواع المَجاهد ، ويبتليهم بضروب المكارِه ؛ اخراجاً للتكبُّر من قلوبهم ، واسكاناً للتذلُّل في نفوسهم ، وليجعل ذلك ابواباً فُتُحاً الى فضله واسباباً ذللاً لعفوه . ج١ - ص٣٨٣ .

- وحج البيت واعتماره ، فانهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنب . ج ١ -ص ٢١٥ .

- والحج جهاد كل ضعيف . ج ٢ -ص ١٧٠ .

الزكاة سبب الرزق

ـ ثم ان الزكاة جعلت مع الصلاة قرباناً لاهل الاسلام ، فمن اعطاها طيب النفس بها فانها تُجعل له كفارة ومن النار حجازاً ووقاية .

فلا يتبعنّها احد نفسه ، ولا يكثرن عليها لهفه ، فان من اعطاها غير طيب النفس بها يرجو بها ما هو افضل منها فهو جاهل بالسنة مغبون الاجر ضال العمل طويل الندم . ج ١ـ ص ٤١٤ .

ـ حصنوا اموالكم بالزكاة . ج ٢ ـ ص ١٧١ .

ـ فرض الله . . . الزكاة تسبيباً للرزق . ج ٢ ص ١٩١ .

ـ انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له ، ولا تروّعن مسلما ولا تجتازنّ عليه كارهاً، ولا تأخذنّ منه اكثر من حق الله في ماله .

فاذا قدمت على الحي فانزل بمائهم من غير ان تخالط ابياتهم ، ثم امضِ اليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلِّم عليهم ، ولا تُخدِج بالتحية لهم . ثم تقول : عباد الله ارسلني اليكم وليّ الله وخليفته لآخذ منكم حق الله في اموالكم ، فهل فى اموالكم حق فتؤدّوه الى وليه ؟ فان قال قائل لا ، فلا تراجعه ، ج ٢ ـ ص ٢٣ .

ـ مع ما في الزكاة من صرف ثمرات الارض وغير ذلك الى اهل المسكنة والفقر . ج ١ ـ ص ٣٨٤

ـ ان الله سبحانه فرض في اموال الاغنياء اقوات الفقراء فما جاع فقير الاّ بما مُتِّع به غني . ج ٢ ـ ص ٢١٤ .

ـ ما احسن تواضع الاغنياء للفقراء طلباً لما عند الله ، واحسن منه تيه الفقراء على الاغنياء اتكالاً على الله . ج ٢ـ ص ٢٣١ .

الفصل الثالث

جهاد الانسان مع الانسان

ـ والله الله في الجهاد باموالكم وانفسكم والسنتكم في سبيل الله . ج ٢ ـ ص ٧٧ .

ـ اول ما تُغلبون عليه من الجهاد ، الجهاد بايديكم ثم بالسنتكم ثم بقلوبكم . فمن لم يعرف بقلبه معروفاً ولم ينكر منكراً قُلب فجعل اعلاه اسفله واسفله اعلاه . ج ١ـ ص ٢٢٦ .

ـ ايها المؤمنون : انه من رأى عدوانا يُعمل به ومنكرا يدعى اليه ، فانكره بقلبه فقد سَلِم وبرىء . ومن انكره بلسانه فقد أُجر وهو افضل من صاحبه ، ومن انكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين هي السُّفلى فذلك الذي اصاب سبيل الهدى وقام على الطريق ونوَّر في قلبه اليقين . ج ٢ـ ص ٢٢٥ .

الجهاد بالاموال :

ان لله عباداً يختصُّهم الله بالنِّعم لمنافع العباد فيقرُّها في ايديهم ما بذَّلوها ، فاذا منعوها نزعها منهم ثم حوَّلها الى غيرهم . ج ٢ ـ ص ٢٣٥ .

ـ ان لله في كل نعمة حقاً ، فمن اداه زاده منها ، ومن قصَّر عنه خاطَر بزوال نعمته . ج ٢ ـ ص ١٩٠

ـ فمن آتاة الله مالاً فليصل به القرابة ، وليُحسن منه الضيافة ، وليفُك به الاسير والعاني ، وليعطِ منه الفقير والغارم . ج ١ ـ ص ٢٥٩

ـ وقد اصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه الا ادباراً ، ولا الشرُّ الاّ اقبالاً ، ولا الشيطان في هلاك الناس الاّ طمعاً . فهذا اوان قويت عدته وعمَّت مكيدته وامكنت فريسته .

اضرب بطرفك حيث شئت من الناس ، فهل تبصر الا فقيراً يكابد فقراً او غنياً بدَّل نعمة الله كفراً ، او بخيلاً اتخذ البخل بحق الله وفراً ، او متمرداً كأن باذنه عن سمع المواعظ وقراً . ج ١ ـ ص ٢٤٦ .

ـ من يعطِ باليد القصيرة ، يُعطَ باليد الطويلة . ج ٢ ـ ص ١٨٧

ـ من ايقن بالخلَف جاد بالعطية . ج ٢ ص ١٧٠ .

ـ اذا املقتم فتاجروا الله بالصدقة . ج ٢ ـ ص ١٩٣ .

ـ استنزلوا الرزق بالصدقة . ج ٢ ـ ص ١٧٠ .

ـ لا تستح من اعطاء القليل فان الحرمان اقل منه . ج ٢ ـ ص ١٥١ .

ـ الصدقة دواء منجح . ج ٢ ـ ص ١٤٠ .

ـ وصدقة السر فانها تكفر الخطيئة ، وصدقة العلانية فانها تدفع ميتة السوء . ج ١ ـ ص ٢١٦ .

الجهاد بالانفس :

ـ فمن تركه رغبة عنه البسه الله ثوب الذل وشملة البلاء ودُيِّث بالصِغار والقماءَة وضُرب على قلبه بالاسداد ، وأُديل الحق منه بتضييع الجهاد وسيم الخسف ومُنع النصف . ج ١ـ ص ٦٧ .

ـ والجهاد عزاً للاسلام . ج ٢ـ ص ١٩١

ـ الا واني قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً وسراً واعلاناً . ج ١ ـ ص ٦٨ .

ـ ان افضل ما توسَّل به المتوسلون الى الله سبحانه الايمان به وبرسوله والجهاد في سبيله فانه ذروة الاسلام . ج ١ ـ ص ٢١٥ .

ـ الجنة تحت اطراف العوالي . ج ١ ـ ص ٢٣٩ .

ـ اما بعد فان الجهاد باب من ابواب الجنة فتحه الله لخاصة اوليائه . ج ١ـ ص ٦٧ .

ـ الايمان على اربع دعائم : على الصبر واليقين والعدل والجهاد . ج ٢ ـ ص ١٤٣ .

ـ وايم الله لئن فررتم من سيف العاجلة لا تسلموا من سيف الآجلة . ج ١ ـ ص ٢٣٨

الجهاد باللسان :

ـ فمنهم المنكر للمنكر بيده ولسانه وقلبه فذلك المستكمل لخصال الخير ، ومنهم المنكر بلسانه وقلبه والتارك بيده ، فذلك متمسِّك بخصلتين من خصال الخير ومضيِّع خصلة . ومنهم المنكر بقلبه والتارك بيده ولسانه فذلك الذي ضيَّع اشرف الخصلتين من الثلاث وتمسَّك بواحدة ، ومنهم تارك لانكار المنكر بلسانه وقلبه ويده فذلك ميت الاحياء . ج ٢ ـ ص ٢٢٥

ـ اول ما تغلبون عليه من الجهاد ، الجهاد بايديكم ثم بالسنتكم ثم بقلوبكم ، فمن لم يعرف بقلبه معروفاً ولم ينكر منكراً قُلب فجعل اعلاه اسفله واسفله اعلاه . ج ٢ ـ ص ٢٢٦

الآثار الاجتماعية للامر والنهي :

ـ فمن أمر بالمعروف شدَّ ظهور المؤمنين ، ومن نهى عن المنكر ارغم انوف المنافقين . ج ٢ ـ ص ١٤٤ .

ـ والامر بالمعروف مصلحة للعوام ، والنهي عن المنكر ردعاً للسفهاء . ج ٢ ـ ص ١٩١

ـ لا تتركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولَى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم . ج ٢ ـ ص ٧٧ .

ـ فان الله سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين ايديكم الاّ لتركهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فلعن السفهاء لركوب المعاصي.والحلماء لترك التناهي . ج ١ ـ ص ٣٩١.

ـ تارك لانكار المنكر بلسانه وقلبه ويده ، فذلك ميت الاحياء ج ٢ـ ص ٢٢٥ .

ـ وانهوا عن المنكر وتناهوا عنه ، فانما امرتم بالنهي بعد التناهي . ج ١ـ ص ٢٤٧ .

ـ وما اعمال البر كلها والجهاد في سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا كنفثة في بحر لجيّ . وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من اجل ولا ينقصان من رزق ، وافضل من ذلك كله كلمة حق عند سلطان جائر . ج ٢ ـ ص ٢٢٥ .

ـ وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لخلقان من خلق الله سبحانه وانهما لا يقربان من اجل ولا ينقصان من رزق . ج ١ ـ ص ٢٨٣

الفصل الرابع
جهاد الانسان مع الطبيعة

ـ ألا وان الارض التي تحملكم والسماء التي تضلكم مطيعتان لربكم ، وما اصبحتا تجودان لكم ببركتهما توجعاً لكم ولا زلفة اليكم ولا لخير ترجوانه منكم ، ولكن أمرتا بمنافعكم فاطاعتا واقيمتا على حدود مصالحكم فقامتا . ج ١ ـ ص ٢٦٠ .

ـ فسبحان من امسكها بعد موجان مياهها واجمَدَها بعد رطوبة اكنافها فجعلها لخلقه مهاداً وبسطها لهم فراشاً . ج ١ ـ ص ٤٢٨ .

- وجَبَل جلاميدها ونشوز متونها واطوادها فارساها في مراسيها والزمها قرارتها فمضت رؤوسها في الهواء ورست اصولها في الماء ، فجعلها للارض عماداً وارّزها فيها اوتاداً ، فسكنت على حركتها من ان تميد بأهلها او تسيخ بحملها او تزول عن مواضِعِها . ج ١ - ص ٤٢٧ .

- اخرج من هوامد الارض النبات ومن زُعر الجبال الاعشاب . . . وجعل ذلك بلاغاً للانام ورزقاً للانعام . ج ١ - ص ١٧٦ .

- ثم لم يدع جُرُز الارض التي تقصُرُ مياه العيون عن روابيها ولا تجد جداول الانهار ذريعة الى بلوغها حتى انشأ لها ناشئة سحاب تحيي مواتها وتستخرج نباتها . ج ١ - ص ١٧٥ .

- واعدَّ الهواء متنسماً لساكنها . ج ١ - ص ١٧٥ .

- وجعل شمسها آية مبصرة لنهارها ، وقمرها آية ممحوة من ليلها ، فاجراهما في مناقل مجراهما ، وقدَّر سيرهما في مدارج دَرَجِهما ، ليميّز بين الليل والنهار بهما ، وليعلم عدد السنين والحساب بمقاديرهما . ج ١ - ص ١٦٧ .

- واخرج اليها اهلها على تمام مرافقها . ج ١ - ص ١٧٥ .

- فلما مهد ارضه وانفذ امره اختار آدم عليه السلام خيره من خلقه . ج ١ - ص ١٧٧ .

- المتجلي لخلقه نجلقه والظاهر لقلوبهم بحجته . ج ١ - ص ٢٠٦ .

ـ فصار كل ما خلق حجة له ودليلا عليه . ج ١ ـ ص ١٦٤ .

ـ إن الله يبتلي عباده عند الاعمال السيئة بنقص الثمرات وحبس البركات واغلاق خزائن الخيرات ليتوب تائب ويقلع مقلع ويتذكر متذكر ويزدجر مزدجر . ج ١ ـ ص ٢٦٠ .

فهرس

الاهداء ٥
مقدمة ٧
الفصل الاول : جهاد الانسان نحو الله ١١
الانسان والمطلق ١٣
كيف يصدر القرار الانساني ؟ ١٥
الانسان والمثل الاعلى ١٨
التكامل بالجهاد نحو الله ٢١

الفصل الثاني : جهاد الانسان مع نفسه ٢٩
اهمية العبادة للانسان ٢٩
العبادة والسعي نحو المطلق ٣٣
الصلاة عمود الدين ٣٧
الصيام زكاة البدن ٤٢
الحج جهاد الضعفاء ٤٦
الزكاة سبب الرزق ٥٣

الفصل الثالث : جهاد الانسان مع الانسان ٥٩
اشكال جهاد الانسان مع الانسان ٦١
أ ـ الجهاد بالاموال ٦٤
ب ـ الجهاد بالانفس ٦٩

الجهاد : قتال دفاعي ٦٩
فضل الجهاد ٧٣

ج ـ الجهاد باللسان ٧٦
الآثار الاجتماعية للامر والنهي ٧٨
المنكر واثره على تكامل النفس ٨١

الفصل الرابع : جهاد الانسان مع الطبيعة ٨٧
علة خلق الطبيعة ٧٩
تحكّم الانسان بالطبيعة ٩٤

خاتمة : التأثير المتبادل بين اشكال الجهاد ٩٧

المورد الاول ٩٨
المورد الثاني ١٠٠
المورد الثالث ١٠٢

الفهرس الموضوعي ١٠٣
الفهرس ١١٩

هـذا الكتاب

هذا الكتاب هو بحق ـ قراءات جادة وواعية في نهج البلاغة . القصد منها دراسة بعض المفاهيم والقضايا المعاشة والملحة في زمننا هذا من خلال خطب وكلمات الامام (ع)؛ فجاءت الدراسة ـ كما أرادها المؤلف ـ سبحات علوية تمد الانسان بكل الحيوية والاندفاع نحو خدمة مجتمعه بما يستحقه ويريده .

تلك هي غاية الكتاب ،قراءة ،لكنها من نهج البلاغة .

الناشر